

في سبيل موسوعة إسلامية

آداب اتباع الأئمة

دار ومكتبة الهلال - بيروت

الهمة في آداب أتباع الأئمة



في سبيل موسوعة إسلامية



تاليـف

القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي
المتوفي سنة ٣٦٣ هجرية

تقـديم وتحقيـق

الدكتور مصطفى غالب

منشورات

دار ومكتبة الهلال

دار ومكتبة الهلال

بيروت ـ حارة حريك ـ شارع المقداد
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

مقدمة

الكتاب الذي يأخذ سبيله للظهور في سلسلة التراث الفاطمي من تأليف الفقيه الكبير ـ القاضي النعمان بن حيون التميمي المغربي ـ قاضي قضاة الدولة الفاطمية .

ومن القاء نظرة عامة على نصوص الكتاب يتبين أن مؤلفه عالج فيه ناحية هامة بالنسبة للعقائد الفاطمية ، وهي ـ الامامة ـ التي تعتبر بحق الدعامة الأولى في بنيان العقائد الاسماعيلية ، والركيزة التي قامت عليها هذه العقائد . فالامامة برأي الاسماعيلية لا تخرج عن كونها منسجمة ومتفقة وآراء عموم فرق الشيعة ، باعتبارها تأتي بالدرجة الثانية بعد النبوة ، وتوجب على الاتباع

والمستجيبين والدعاة الانضواء تحت لوائها ، والاستقاء من ينبوعها الدفق الرقراق ، والاعتراف بقدسيتها وطهارتها ، باعتبارها مصدر الفقه والتشريع ، والقيمة على الشريعة ، والمحافظة على تعاليم القرآن الكريم .

وما ورد في كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة ، ينسجم تماما مع ما يقول به الاسماعيلية وينفي كل ما جال في الأذهان من الغلو الذي اتهم به الاسماعيلية ، وهو لا يخرج عن حد الاعتراف بأن مرتبة النبوة هي أرقى مراتب عالم الدين ، ويأتي بعدها مرتبة الامامة ، لأنها سابقة عليها في الوجود، باعتبارها تمثل السابق في عالم العقول ، بينما تمثل الامامة التالي .

ويتضمن الكتاب ناحية هامة أولاها المؤلف المزيد من الاهتمام وأفرد لها عدة فصول مستقلة ، فجاءت معبرة عن التربية عند الاسماعيلية التي يدخل في مضمونها واجبات الجماعات نحو الأئمة ، وآداب الدعاة وفروض طاعتهم وولائهم ، مما يرسم صورة كاملة عن مستوى الاخلاق وواجبات المؤمن في حياته الدينية والاجتماعية وما يجب أن

يتحلى به من صفات سامية ، ينبغي أن تكون مثالا للآخرين •

ومن الواضح لكل متعمق بالدراسات الاسلامية ان عقائد الشيعة وتعاليم الاسلام بصورة عامة ، لم تخرج عن حد القول بأن المرء لا يكون مسلما مؤمنا الا اذا أطاع الله سبحانه وتعالى والرسول ، ووصيه من بعده ، فهذه الطاعات الثلاث هي قوام الدين والمنطلق الذي ينفذ منه المؤمن الى تسنم المراتب السامية ، ولا يقبل عمل المؤمن الا اذا أقر بالطاعةوالتسليمللنبيوللامام بالولاية والاستجابة •

لقد ترك لنا الفاطميون ودعاتهم في مختلف العصور آثارا في كتبهم ، ونصوصا في الامامة جديرة بالتنويه ، ولعل أهمها ما كتبه القاضي النعمان في كتابه « التوحيد في الامامة » وأحمد النيسابوري في كتابه « اثبات الامامة (١) » وأحمد حميد الدين الكرماني في كتابه « المصابيح في الامامة (٢) » والداعي أبو الفوارس أحمد بن يعقوب برسالته

---

(١) حققه الدكتور مصطفى غالب منشورات دار الاندلس بيروت •
(٢) حققه الدكتور مصطفى غالب منشورات دار حمد •

« الامامة » وأبو يعقــوب السجستاني في كتابــه « خزائن الأدلة » .

تحقيــق الكتــاب

حصلنا على نسختين خطيتين من كتاب « الهمة في آداب أتباع الأئمة » الأولى رمزنا اليها بالحرف «م» وعدد صفحاتها ١٠٥ صفحــات قيــاس الصفحــة ١٣×٢٤ سم وتشتمل كل صفحة منها علــى ١٥ سطرا . جاء في نهايتها كتبت بخط الفقير اليه تعالى حسن بن علي الكاتيهاري سنة ١١٨٥ هجرية .

أما النسخة الثانية التي رمزنــا اليها بالحرف (هـ) فهي أحدث من النسخة الأولى ولكنها أدق وخالية تقريبا من الاخطاء ، عدد صفحاتها ١٠٨ صفحات قياس الصفحة ١٣×١٤ سم وتحوي كــل صفحة ١٦ سطرا . ورد في نهايتها أنها كتبت بخط الملا يونس بن الملا رحمت علي من سورت في الهند سنة ١٣٢٠ هجرية .

ونحن اذ نضيف هذا الكتاب الى سلسلة التراث الفاطمي نشعر بالغبطة والسرور لاعتقادنا بأننــا نضع بين يدي القراء أثرا نفيسا من آثار الفاطميين ونصا من النصوص المهمة ، لعله يزيل من النفوس،

بعض الشكوك ومخلفات الافكار القديمة ، ويتمكن القاريء من الوثوق على أهم ناحية في العقائد الفاطمية .

والله نسأل أن يسدد الخطى ، ويطيب المسعى وهو ولي التوفيق .

بيروت في ١٩٧٧/٧/١

مصطفى غالب



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله حمدا يبلغ حق حمده وغاية مزيده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وعلى الأئمة من ذريته الابرار المصصين الاخيار • قال الذي عنى بتأليف هذا الكتاب : كان السبب الذي دعاني الى تأليفه ، أن بعض المنعمين علي أفادني كتابا في غاية الاختصار يجمع ما فيه قدر خمس ورقات ، ألف في آداب خدام الملوك وأتباعهم بلفظ موجز مجمل ، وكل أمر بليغ مختصر ، تجمع الكلمة فيه جماعا من المقاصد ، وتعبر اللفظة منه عن فنون من الفوائد ، فوقفت منه على آداب جميلة رضية ، وألفاظ مشبعة جزيلة عذبة سنية ، ووددت أن لو كان مؤلفها قصد بها أهلها ، ووضعها مواضعها ، وأنه لو قد كان عرف الحق وأهله وجمع فضل ذلك

الى بلاغته وأدبه . فقلت ذلك النعم علي الذي لم أزل أغترف من بحره وأصدر ، وأورد عـن نهيه وأمره ، فنبهني على حرف في ذلك الكتاب دل على أن مؤلفه كان من أهل الولاية ، وأنه كان مكرهـا مجبورا على صحبة من صحبه من ملوك الارض وأهل اغتصابها ، فسكنت الى ذلك علما ، بأن الله لم يمنح مثل تلك الآداب الرضية، والبلاغة السنية، الا وليا لأوليائه متدينا بامامتهم عارفا بحقهـم ، وفتق لي ما حباني به المنعم علي من ذلك ما أجريت ذكر ذلك في هذا الكتاب ، فذكرت لذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليـه : « علمني رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم والحكمة ألف باب منها يفتح ألف باب » .

وقول جـابر الجعفـي : « أرفدنـي وصـي الأوصياء ـ يعني أبا جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه ـ فعلمني ألف كلمة كل كلمة منها تفتح ألف كلمـة » . فهذه مـن معجزات أوليـاء الله وبراهينهم ، وفضلهم على من أودعوه شيئـا من حكمتهم ، ان القليل من ذلك يهديه ويفتح له كثيرا مما أشكل عليه ، فرأيت صنيع ما كنت تمنيت لمؤلف ذلك الكتاب أن يصنعه ، وفصل ما كان أولى بـه

عندي أن يقصده لما اتسع لي ذلك وأمكن بظهور أمر أولياء الله واستحكام سلطانهم ، وضاق ذلك عليه وتعذر لكونه تحت أمر المتغلبين في أزمانهم ، فبسطت هذا الكتاب في آداب أتباع الأئمة (صلع) وسميته « كتاب الهمة » اذ كان القصد بما فيه الى ما يهم بفعله ، والهمة في اللغة ما هممت به من أمر لتفعله ، ولذلك قيل رجل بعيد الهمة وقصير الهمة، ومنه سمي الملك هماما لعظم همته وبعدها .

وقد بسط كثير من المؤلفين كتبا كثيرة في آداب خدام الملوك ، وذكروا فيها من الاخبار المرفوعة الجارية والأبيات من الشعر المروية (١) السائرة ، ما رأيت ترك ذكره على الجملة في هذا الكتاب رغبة بالأئمة صلوات الله عليهم أن يذكروا بما ذكر به ملوك الدنيا وأهل اغتصابها ، وسبق اليه من ألف لهم رغبة فيها وفي حطامها ، واذ كان من ألف في هذا المعنى لأتباع ملوك الدنيا اما ليبتغي بذلك نيلهم أو ليذكر به في أيامهم ، وغرضي فيما أؤلفه من ابتغاء ثواب الله عز وجل فيما ادعوه اليه من أجل الأئمة وتوقيرهم وتعظيمهم وتعزيزهم ورعاية

---

(١) بنسخة (هـ) المذكورة .

حقوقهم وأداء أمانتهم ، والتأدب بالآداب الصالحة لهم ، على اعتراف مني بالعجز ، واقرار بالتقصير عن بلوغ معرفة الواجب لهم ، بل لا أحيط علما في ذلك بجزء لا يتجزأ منه ولا احتوى على مثل النقطة من البحر قياسا به ، وكيف أتعاطى علم واجب من لا أقدر على صفته ، بل لا يستطيع صفة من تولاه وتقرب الى الله به ونال ما نال بفضله .

كما روينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه أنه قال لرجل من أوليائه ومواليه في حديث طويل حدثه به في فضل المؤمن حذفت صدره اختصارا قال فيه : « أو لا ترى يا أبا فلان أنك مفرط في أمرنا ، واعلم أنه لا يقدر أحد على صفة الله جل وعظم عن ذلك تبارك وتعالى ، فكذلك لا يقدر على صفتنا ، وكما لا يقدر على صفتنا فكذلك لا يقدر على صفة المؤمن ، ان المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله تبارك وتعالى ينظر اليهما والذنوب تتحات عنهما حتى يفترقا ، فكيف يقدر على صفة من هو كذا » ثم ذكر باقي الحديث بطوله في فضل المؤمن وقدره عند الله عز وجل .

فالأئمة صلوات الله عليهم فوق الخلق بما لا يدرك به علما ، والذي يجب لهم أعظم وأجل من أن يدرك بعلم وعقل ، وان كان الله عز وجل لا يكلف العباد الا ما عقلوه وعلموه ، فانه لم يرض لهم بالجهل بل افترض على من لم يعلم التعلم والسؤال ليرتقوا في الاسباب ، ويتنافسوا في الأحوال ، وما عسى أنه ذكر وألف في تعظيم ملوك الدنيا وآداب أهلها ، فأولياء الله أحق به وهو أقل ما يجب لهم ، وأتباعهم أجدر باستعماله فيهم وفي أنفسهم ، خلا ما جاوز الحق من ذلك وتعداه ، فانه يرفض من قولهم ، وما كان من أدب صالح وسنة رضية فأهل الحق أحق به منهم وهي ضالتهم عندهم، ينبغي أخذها منهم ولا يزري بها عند أهل الحق كونها في أيدي أهل الباطل ، فقد ذكر لي المنعم الذي فتق لي هذا المعنى وفتح لي هذا الباب يوما ، أن بعض ما أسر اليه سرا أفشاه وأذاعه عليه ، وفيه ما يخاف من أجله فأعظم ذلك وقال : لقد أنف أهل البطالة والخلاعة والمجانة (١) من افشاء السر ونقل النميمة حتى قال : لقد قيل عن بعضهم

---

(١) بنسخة (هـ) والمجون .

انه كان مع جماعة منهم في مجلس باطل ولهو وشراب فناوله أحدهم غصن نمام حياه به فتنكر عليه وقال هذا فراق بيني وبينك وقام عن المجلس فقام اليه الآخر ، فقال : ولم هذا يا سيدي وجعل يترضاه ويعتذر اليه ، فقال : تحسبني بالنمام كأنك رأيتني من أهل النميمة ، ثم قال ومثل هذا يؤخذ وان كان من مثل هؤلاء يعني أن الذي يؤخذ منه عنهم استعظام هذا لأمر النميمة أن يشار اليه بهذه الاشارة الخفية فضلا عما سواها ، ويلغي ويعرض عن قوله عن سوء الظن بصاحبه اذ كان سوء الظن في الدين منهيا عنه . فلما كنت لا أبلغ وان بالغت في الاطناب حقيقة ما كان ينبغي أن يشتمل عليه هذا الكتاب رجعت فيه الى الاقتصار على التحقيق والاختصار .

ثم رأيت طبقات أتباع الأئمة يكثر عددها كالأهل والدخلة والحشم وخاصة العبيد والاماء والخدم والأقارب وأهل الديانات من الأولياء والقضاة والكتاب وذوي الكفايات وأصحاب الدواوين وأهل الامانات والعمال والجباة والسعاة ورجال الحرب من الأولياء والانصار وطبقات العبيد والأجناد والصناع والباعة والتجار الذين يلون

أمورهم ويعملون لهم ، والرعايا الذين يتصلون بأسبابهم ، وكل طبقة ممن ذكرت ومن لم أذكر تتفرع على طبقات ، ويتصرف أمرها على وجوه وجهات ، فلو قصدت لتفريعها وذكر ما ينبغي أن يتأدب به كل طبقة منها لطال القول واتسع وتشعب (الموضوع) وتفرع ، ولكن رأيت أن أجعله (أبوابا) ، يحتاج الى أكثرها أهل كل طبقة لأداء فرضهم ، وبعضها مقصورة على آداب بعضهم ، والله استهدي واياه أستعين وعليه أتوكل .

ولم أختصر هذا الكتاب وان كنت وصفته بالاختصار كاختصار الكتاب الذي قدمت ذكره ، ولا أطلته اطالة ما يمل قاريه (١) ويتعب كاتبه ، ولكني قربته من الاختصار وأعفيته من التطويل والاكثار لأن كل بائن عن شكل الاعتدال خارج عن حد الكمال ، فليس كل الناس يفهم الموجز من الكلام ، ولا كثير ممن يفهم ذلك يتعب ذهنه بالغوص في تطلب معاني دقائق الكلام ان لم يجده بينا معروفا وظاهرا مكشوفا ، ولو استغنى بشيء من اللفظ عن البيان لاستغني عنه القرآن ، فقد

---

(١) بنسخة (م) قارئة .

قال الله وهو أصدق القائلين: « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (١) » فالبيان هو العبارة، والحذف والاختصار كالرمز والاشارة ، وقل ما تكون الفائدة سيما لمن لم يتسع في العلم فيما لم يوضحه البيان ، ولذلك قال بعض من يعنى بالكتب ما قرأت كتابا كبيرا قط أو متوسطا الا أفدت (٢) منه فائدة وما أحصي ما قرأت من صغار الكتب فلم أفد منها شيئا ٠

ولا أشك أن فائدة هذا الكتاب المختصر الذي قدمت ذكره لم تكن الا عن بركة من أفادنيه ، لا عن مؤلفه ولا ما ألف فيه ، ومن أحسن التطويل والاكثار أحسن لا محالة الحذف والاختصار ، ولو شئت أن أجعل هذا الكتاب في كيفية الكتاب الذي وصفته أو في مقدار نصفه أو في أقل من ذلك لفعلت حتى لو أردت أن أقتصر على لفظة واحدة كافية منه لاقتصرت ، فأمرت بتقوى الله ففيها جماع كل خير الدنيا والآخرة ، وكذلك لو شئت أن أجعله في الطول كأطول كتاب جمع لفعلت ، ولكني توسطت

---

(١) سورة النحل ٤٤/١٦ ٠

(٢) بنسخة (هـ) استفدت ٠

به بين الأمرين ، وجعلت له حالا بين الحالين ، كما قال بعضهم لشاعر مدحه بشعر فيه مائة بيت شبيه بتسعين بيتا ومدحه بعشر أبيات « ما ألقيت معنى لطيفا ولا قولا بديعا الا شغلت به تشباب شعرك عن مدحنا » فمدحه بعد ذلك بشعر شبيه بقسيم بيت منه ومدحه بباقيه فقال : « لا ذا ولا ذاك ولكن أمرا بين أمرين » فلهذه المعنى قصدت وعن الاكثار ومطلب الاختصار رغبت ، والله استهدي واياه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة من اعتقاد ولايتهم والتدين بامامتهم وطاعتهم صلوات الله عليهم

هذا باب ما يلزم جميع العباد ، ولو تقصيته لخرج عن حد هذا الكتاب ولاحتاج الى افراد كتاب ، ولكني أذكر منه طرفا ينبغي أن يذكر ، اذ كان اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بامامتهم وطاعتهم أصل ما يجب أن يبنى عليه هذا الكتاب وأسه ، وأول ما ينبغي أن يبتدأ بذكره فيه ويفتتح به .

واذا كان من عرف حقهم واعتقد امامتهم رعى من واجبهم وامتثل من أمرهم ما يرى أنه فرض الله عز وجل عليه واجب وحق لازم ، كانت جلالتهم في صدره أعظم ، وهيبتهم في عينه أكبر من هيبة ملوك الدنيا وجلالتهم في صدور أتباعهم وأعينهم ،

اذ كان الله عز وجل تباركت وتقدست أسماؤه قد فرض طاعتهم على عباده في كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (صلعم) ، فقال وهو أصدق القائلين: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » (١) ، فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون في جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد امامتهم ،اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ، فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذي جعل الجنة ثوابه (٢) ، ويجتنب ما يوجب سخطه الذي جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ، ويجهدها فيما وافقهم وطابق هواهم وأكسبهم رضاهم فيما أحبه وكرهه وسره وأسخطه ، وليرجع فيما أسخطه من ذلك الى رياضة نفسه عليه وسياستها فيه ، حتى يؤول سخطه في ذلك الى الرضا وكراهيته الى المحبوب (٣) ، ويستغفر الله لما عرض له في ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة

---

(١) سورة النساء ٥٩/٤ .

(٢) بنسخة (هـ) ثوابا .

(٣) بنسخة (م) محبوبة .

لا تكون الا بالاقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبوه ويكره ما كرهوه ، ويعتقد ذلك قولا وفعلا ونية وعملا ولو كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله وولده ، ويسلم لهم في كل الامور تسليم مطيع لا تسليم مجبور ، يعلم أنه ان لم يفعل ذلك وخالفه أو شيئا منه لم يكن مؤمنا لقول الله جل من قائل « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » ، فهذا فرض من الله جل ذكره على المؤمنين لرسوله الذي قرن طاعته بطاعته وطاعة الأئمة بطاعته ، وجعلهم الخلف للأمة من بعده صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الابرار المصطفين الاخيار .

فعلى هذا الوزن (٢) والترتيب يلزم في الفرض الموجب من التعزيز والتوقير والطاعة والتسليم بالنية والقول والعمل والقبول لكل امام على أهل عصره ما كان يجب منه لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة النساء ٦٥/٤ .

(٢) بنسخة (هـ) النسق .

وعلى آله على أهل زمانه ودهره ، وان كانت درجة النبوة أعلى وأجل وفوق درجة الامامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة فان الطاعة واحدة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده فلم يقبل من مطيع طاعته الا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه ، ولم يدخل في جملة المؤمنين به الا من سلم لمن أمر بالتسليم اليه من أصفيائه • وفيما ذكرناه في هذا الباب ما فيه كفاية لأولي النهي والألباب اذا تدبره من وفق لفهمه حق تدبره ان شاء الله •

(٢)

ذكر وجوب مودة الأئمة

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (١) » فسئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : من هم ؟ فقال علي وفاطمة والحسن والحسين . وقال صلى الله عليه وعلى آله : « من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني » وقال: «لا يحب عليا الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق» .

فكانوا يقولون ما كنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله (صلع) الا بمحبة علي ومودته وتفضيله ، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى

---

(١) سورة الشورى ٢٣/٤٢ .

آله على مودته من كـان في عصره ، وحضر مـن بحضرته على ذلك اذ سألوه عنه ، وافترض الله عز وجل له ذلك على كافة الناس ، وذلك واجب للأئمة من ذريته في كل عصر وزمان على أهله ، فقد سئل أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » فقال : والله هي فريضة من الله واجبة على جميع العباد لمحمد صلى الله عليه وعلى آله فينا أهل بيته » وقال عليه السلام : « من أحبنا حشره الله معنا يوم القيامة • ثم قال وهل الدين الا الحب • قال الله عز وجل : « وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم » • وقال : « ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » • وقال علي عليه السلام لبعض شيعته : « ألا أخبركم بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة وبالسيئة التي من جاء بها أكب الله وجهه في النار • قالوا : بلى يا أمير المؤمنـين قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا •

فينبغي لمن عرف الأئمـة اخلاص المحبـة لهم واعتقادها لله ولمكانهم منه لا لغرض دنيا ينالهـا منهم ، فان من كانت مودته لشيء زالت وانقطعت

مع زواله وانقطاعه ، فلتكن مودته لهم عند المنع كمودته لهم عند العطاء ، وفي الضراء بحسبها في السراء ، لأن ما كان لله عز وجل خالصا من الاعمال لا تغيره صروف الدنيا ولا تنقله من حال الى حال ، وانما تنقل وتغير حوادث من الاعمال ما كان لها ، قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « من أحبنا فليخلص لنا المحبة كما يخلص الذهب الابريز •
قال علي صلوات الله عليه : « لو ضربت المؤمن على أنفه ما أبغضني أبدا ، ولو صببت الذهب والفضة على المنافق ما أحبني أبدا » فمن أحب أولياء الله فليخلص لهم المحبة ، وليعطها حقها فان حق المحبوب على محبه أن ينصحه ولا يغشه ، ويؤدي اليه الامانة ولا يخونه، وينصره ولا يخذله، ويطيعه ولا يعصيه ، ويحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها ، ولا يخالف ظاهره باطنه ، ولا سره علانيته ، ولا غيابه مشهده ، هذه حقيقة محبة المتحابين في الدنيا ، فكيف بمن أحب من أحبه الله، وعلم أن الله يطلع ويعلم ما يسره ويبديه ويظهره ويخفيه ، فحقيق عليه أن يجعل من نفسه على نفسه في محبته رقيبا عليه في علانيته وظاهره (١)،

---

(١) نسخة (م) وباطنه •

وخلواته وسرائره .

فاخلصوا أيها المؤمنون لأوليائكم المحبة لتستنجزوا بها من فضل الله فضل ما عنده ، ففي ما ذكرت في هذا الباب بلاغ لمن وفق للصواب .

(٣)

ذكر أداء الأمانة للأئمة صلوات الله عليهم والنصيحة لهم والتحذير من خيانتهم وغشهم

قال الله عز وجل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها (١) » • وقال : « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته (٢) » • وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٣) » • وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا » • وقال : « الامانة مؤداة عليكم » • وقال : « من غشنا فليس منا » • وقال : « دماؤكم وأموالكم حرام •

---

(١) سورة النساء ٥٨/٤ •
(٢) سورة البقرة ٢٨٣/٢ •
(٣) الانفال ٢٧/٨ •

وقال علي (ع) ، لبعض من أوصاه : « أد أمانتك
الله عليه : « أدوا الامانات الى الاحمر والاسود وان
كان حروريا ، وان كان شاميا وان كان أمويا ،
وان كان عدوا ، أدوا الامانة ولو الى قاتل الحسين
فأمر الله جل ذكره ورسوله والأئمة من أتباع أهل
بيته (صلع) وعليهم أجمعين أمرا مجملا ومفسرا
بأداء الامانة الى من كانت له من ولي أو عدو مؤالف
أو مخالف • وذلك أن حق أداء الامانة انما يلزم
المؤمن في نفسه ، وأمانته فيها يرعى ودينه بأدائها
يحفظ ، ونفسه بحفظها ينزه ، وان خانها فأمانته
يوتغ ، وعرضه يشين ، ودينه يهتضم ، ومروتـه
يضيع ، ليس لمن ائتمنه ولا عليه من ذلك شيء [من
أن كان] أكثر من ذهاب حطام عاجل ان خانه المؤتمن
أو توفيره عليه ان هو أداه اليه •

فحقيق على من خاف ربه ونزه نفسه أن يؤدي
أمانته ، واذ كانت الامانة واجبا ادؤها الى سائر
الناس فحق أمانة الأئمة أوجب ، والامر بأدائهـا
آكد وخيانتهم أغلظ ، والاثم في ذلك أشد ، ألا
ترى قول الله جل من قائل : « يا أيها الذين آمنوا

لا تخونوا الله والرسول (١) » فان من خان رسول الله (صلع) فقد خان الله كما قال الله جل من قائل : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (٢)» وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » • وقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٣) » فطاعة أولياء الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ومن خانهم فقد خان الله ، ومن وفي (٤) لهم ولا تخن من خانك » • وقال جعفر بن محمد صلوات فقد وفى طاعة الله ، ومن أدى أمانتهم فقد أدى أمانة الله ، وان كانت الخيانة منهيا عنها على العموم ، فخيانة أولياء الله أعظم جرما ، وأغلظ اثما ، ومؤدي الامانة اليهم أجزل ثوابا وأجرا ، لأن الله جل ثناؤه لم يضاعف العقوبة لعاصي شيئا كما ضاعف له الثواب في الطاعة عليه ، قال وهو أصدق القائلين : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا

---

(١) الانفال ٨/٢٧ •
(٢) الفتح ٤٨/١٠ •
(٣) النساء ٤/٥٩ •
(٤) بنسخة (م) ومن اوفى •

كريما (١) » •

فأما خيانة الأئمة من الكبائر فلأن قتل النفس المؤمنة من الكبائر ، وقتل النبي أعظم من ذلك وأكبر ، والخيانة على الانبياء والأئمة أغلظ وزرا ، كذلك صنيع الخير عندهم أكثر أجرا • وقد نهى رسول الله (صلع) عن ضرب البهائم في غير حق ، وأن تحمل فوق طاقتها وقال : « رأيت صاحبة الكلب في الجنة » وهي امرأة مرت بكلب يتلظ على بئر فلم تجد ما تستقي له به ، فربطت خفها بخمارها واستقت له ، فسقته فغفر الله لها بذلك وقال : « رأيت صاحبة الهرة في النار » وهي امرأة ربطت هرة لها وتركتها لا تطعمها ولا تدعها تأكل من حشائش الأرض حتى ماتت فعذبها الله بذلك • وقال : « في كل كبد حري رطبة أجر » والأجر في صنيع المعروف الى الانسان أفضل ، وهو في المؤمن أجل •

وكذلك صنيع السوء في الوزر ، وعلى هذا الوزن ما قدمناه من مقدار ذلك في أولياء الله • فاحفظوا أيها الناس أمانتكم ، ما قل منها وما كثر

---

(١) الاحزاب ٣٠/٣٣ و ٣١ •

وما صغر وما كبر ، فان اسم الخيانة يقع على القليل والكثير منها ، والخيانة في القليل اثم ونذالة، وهي في الكثير أعظم اثما وتباعة (١) ٠

واعلموا أن الخيانة لا تكون في المال خاصة فقط ، بل هي في كل أمر من الامور عامة ، وفي القول والعمل والنية ٠ وهذا الباب يلزم أهل كل طبقة من طبقات أتباع الأئمة (صلع) وغيرهم للأئمة ولمن سواهم لأن أداء الامانة والنصيحة لازم لكل مسلم ٠ قال رسول الله : « الدين النصيحة لله ولأوليائه وللمؤمنين » وليس في ترك النصيحة لله ولأوليائه رخصة ولا عذر لتارك ذلك على حال من الاحوال ٠

قال الله عز وجل : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٢) »

---

(١) في نسخة (م) وجرما ٠
(٢) التوبة ٩١/٩ ، ٩٢ ٠

فلم يجعل الله عز وجل لهم في ترك النصيحة رخصة، كما جعل لهم فيما لا يستطيعونه مما ذكره ، كما لم يجعل أيضا في اعتقاد المحبة بالقلب رخصة قال الحسين بن علي (ع) : « من أحبنا بقلبه وجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا في الرفيق الأعلى ، ومن أحبنا بلقبه وذب عنا بلسانه وضعف أن يجاهد معنا بيده فهو معنا في الجنة دون ذلك منزلة ، ومن أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بلسانه ويده فهو معنا في الجنة دون ذلك ، وليس دون ذلك شيء » فالنصيحة والامانة لأولياء الله أقل واجبهم ، فمن خانهم وغشهم فقد انسلخ من ولايتهم ، فاحذروا عباد الله الغش والخيانة لهم ، فوالله لو لم يرغب الراغب في الامانة والنصيحة لهم الا في دوام عاجل نعمة الدنيا وشرف ذكرها وأمن عقوبتها ، لكان جديرا بذلك ، فكيف بثواب من الله لا عوض له منه يرجوه ، وعذاب لا عاصم له منه يخافه ، ولقد رأيت كثيرا من أوباش الناس وعوامهم ومن هو أقرب شبها بالبهائم منهم بالناس كالصناع والمضاربين والحمالين يؤدون ما ائتمنوا عليه ، مع فقر مدقع وحاجة شديدة ، لا لدين ولا لمعرفة ولا لاعتقاد ولكن خوفا من أن يخونوا أو ينكروا ما صار اليهم

فيتناذرهم الناس ولا يستعملونهم ، فكيف بمن فيه حشاشة (١) من دين أو أدب ، وله في حظ نفسه حسن نظر ، لا يحذر ان خان سقوط المنزلـة ، وانقطاع مادة الخير عنه ، ان لم يكن ممن يرجع الى ثواب يرجوه أو عذاب يخافه •

---

(١) في نسخة (م) حساسة •

(٤)

ذكر توقير الأئمة وتعزيزهم واجلالهم وتعظيمهم صلوات الله عليهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم واجلالهم مما أوجبه الله عز وجل على العباد لهم ، اذ قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه ، وحرس (١) عباده عليهم وأمرهم برد ما اختلفوا فيه اليهم ، فما كان يجب لرسول الله (صلع) من التعظيم والتعزيز والتوقير على أهل عصره ، يجب لكل امام على أهل دهره اذ كانت طاعتهم مقرونة بطاعته وان علت منزلة النبي (صلع) وارتفعت درجته لارتفاع درجة الرسالة على درجة الامامة ، فان تعظيمهم من تعظيم الله جل وعز الذي أقامهم

---

(١) في نسخة (هـ) حراسه .

لخلقه ، كما كانت طاعتهم موصولة بطاعته ، ولأنه جعلهم القائمين بأمره والدعاة اليه وأهل الدلالة عليه ، فينبغي لكافة الناس تعظيمهم واجلالهم في آعينهم وصدورهم والتذلل والتواضع لهم ، ورفعهم في القلوب والابصار عن أقدار ملوك الدنيا وجبابرتها ، واحلال مهابتهم في النفوس فوق محل سلاطين الدنيا فيها ، واعتقاد ذلك التعظيم والاجلال والهيبة والاكبار لله الواحد القهار لمكانتهم منه وجلالتهم لديه .

واذا نظر أهل الدنيا الى ملوكهم بعين تعظيم ما عندهم من حطامها ، وهيبة مخافتهم من سطواتهم فيها ، فلينظر أتباع الأئمة وأولياؤهم اليهم بعيون من يرى عظمة الامامة فيهم ، ويعرف سيماء الحكمة في وجوههم ، وينظر الى هيبة سلطان الدين لديهم، وينزلوهم في قلوبهم بمكانهم من الله ، ويشعروا مخافتهم منه في ترك ما أوجب من تعظيمهم ، ويخافوا تضييع ذلك على أنفسهم ، وليكن نظرهم اليهم نظر فكرة في ذلك واعتبار ، ورغبة فيه استبصار ، لا نظر غفلة ولهو ونسيان وسهو ، فلمثل ذلك جاء في الحديث المرفوع : « ان النظر الى الامام عبادة ، والنظر الى المصحف عبادة » ليس ذلك على نظر

السهو والغفلة ولكنه في نظر التدبر والتفكر ، كما أن الناظر في المصحف بلا تدبر لما فيه لا فائدة له في النظر اليه ، قال الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (١) » . وكما جاء في الحديث المأثور : « ان قراءة آية في تدبر خير من قيام ليلة » يعني بقراءة القرآن من غير تدبر .

وكما في الحديث في صفة الخوارج « أنهم يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم » يعني أنهم يهذونه بألسنتهم ولا يتدبرونه بقلوبهم ، وهو لا يصل اليها ولا يجاوز تراقيهم ، وعلى ذلك ينبغي لمن سمع كلام الأئمة أن يصغي اليه ، وينصت له حتى يستوفيه ثم يتدبره حق تدبره ، اذ كان كلامهم مأخوذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لأن طاعتهم بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله موصولة ، فما كان من كلامهم من أمر تلقاه من يسمعه أو ينتهي اليه بالقبول ، وما كان منه من نهي تناهى عنه ذوو النهي والمقول، وما كان منه من أخبار ميز وانتقد على التحصيل ، فان تحت كل لفظة من ألفاظهم حكمة ، وفي كل

---

(١) سورة محمد ٤٧/٢٤ .

كلمة من كلامهم فائدة (١) ، يهدي الله لعلم ذلك من أحب ، ويمنعه من شاء ، وينبغي لمن غمض ذلك عليه أو لم يتأد حسه اليه ، أو لم يعرف معناه فمر صفحا عليه أو أنكره أو شيئا منه أو رأى أنه لا فائدة فيه ولا معنى له أن يعرف أن التقصير من قبله ، والعجز من ذات نفسه ، ويسأل عما جهله من هو في العلم بذلك فوقه فان لم يجد ذلك أنزله على أحسن المنازل ، واعتقد فيه أفضل الاعتقاد ، وسلك فيه خير السبل ، وسلم لهم فيه ووجهه الى خير الوجوه عنده .

(١) في نسخة (هـ) فوائد .

(٥)

ذكر الأمر بالوفاء بعهود الأئمة ورعايتها وتذكار ما أخذ لهم منها

قال الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود(١) » وقال تعالى: « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (٢) » وقال تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فيؤتيه أجرا عظيما (٣) » فعهد الأئمة صلوات الله عليهم هو عهد النبيين وهو عهد الله ، كما كانت طاعتهم موصولة لا. ينبغي قطعها ، فكذلك عهودهم انما هي على الطاعة ولا ينبغي الا الوفاء

---

(١) سورة المائدة ١/٥ .
(٢) الاسراء ٣٤/١٧ .
(٣) الفتح ١٠/٤ .

بها ، ولا ينبغي نقض شيء منها ، ولو أطاع الله فيما يرى مطيع ، وعصى رسوله أو كذبه لم يقبل الله طاعته وعذبه على تكذيب رسوله ومعصيته ، يشهد بذلك قوله جل ثناؤه واصفا لأكرم رسله عن الملحدين المستوجبين لعذابه « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » القائلين ما استوجبوا به غضب الله مع اقرارهم بربوبيته بجحدهم نبوة رسوله ،وكذلك يلزم من أقر بالله ورسوله ، ولم يعترف بامامة أولياء الله وأوصياء رسوله ولو عبد الله على ذلك أيام حياته وطول مدته ، لكان ممن قال الله جل ذكره : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (١) » وكذلك هو ان أطاع الله ورسوله بزعمه ، وعصى امامه أو كذب به فهو آثم في معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله ولا عمله مع جحده امامه ومعصيته ، اذ كان الله عز وجل جمع تلك الطاعات ، وافترضها ووصلها فلم يقطعها ، وجمعها فلم يفرق بينها ، فمن وفى(٢) لله بعده ولرسوله وأوليائه ممن قال الله تعالى:«فسيؤتيه أجرا عظيما»فالأجر العظيم الجنة .

---

(١) سورة الفرقان ٢٣/٢٥ .

(٢) بنسخة (م) اوفى .

ومن نقض عهد الله من بعد ميثاقه وقطع ما أمر الله به أن يوصل فهو من الخاسرين الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه :« وهم الذين خسروا الدنيا والآخرة ، خسروا رضاء الأئمة عنهم في الدنيا ، ورضاء الله عنهم في الآخرة ، وصاروا الى عذابه ، لقطعهم هذه الطاعة التي أمر الله عز وجل بها أن توصل ، فبالوفاء بعهد الله وعهد أنبيائه وأوليائه وطاعتهم استحق المؤمنون اسم الايمان ، واستوجبوا ثواب ربهم الذي وعدهم اياه في كتابه ، وبنكث عهدهم ونقضه واطراحه استحق الناكثون عذاب الله وخسروا رحمته ، فالوفاء الوفاء أيها المؤمنون بعهودكم ، والحفظ الحفظ لأمانتكم ، فانكم قد عاهدتم الله ربكم ، فأعطيتموه صفقة ايمانكم على الوفاء بما عاهدتموه ، وألزمتم أنفسكم من الشرائط والايمان والمواثيق على ذلك ما قد عرفتموه ، والرغبة الرغبة في ثواب رب العالمين ، والحذر الحذر أن تكونوا من الخاسرين ، وفكروا فيما عاهدتم الله عليه وفيما ألزمتم أنفسكم اياه وأعطيتم صفقة ايمانكم فيه ، وارعوه حق الرعاية، وأدوا الى الله والى أوليائه فيه الامانة ، فانه عز وجل يقول : «قد أفلح المؤمنون» الى قوله :« والذين

هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١) » .

فبالوفاء بالعهد وحفظ الامانات نزل المؤمنون منازل الجنات ، وبنقضها والخيانة حل أهل الشقوة أسوأ المحلات ، ولو لم يكن ما تستخرجون له في خلاف ما عاهدتم الله عليه الا الحنث فيما ألزمتموه أنفسكم من الايمان المحرجة المشددة والعهود المغلظة المؤكدة ، وقد ترون من الناس كثيرا ممن لا كثير ورع له ولا عظيم أمانة فيه يحفظون ايمانهم كما أمر الله عز وجل بحفظ الايمان في كتابه ، فان حنث (٢) أحدهم في الشيء منها كفر بما يجب، ويلزم الكفارة فيه عنها ، وأمضى مالا كفارة فيه على ما قد كان حلف به عليه ، فقد طوقتكم أعناقكم ما لا تطيقون ان حنثتم فيه ، وما لا كفارة له الا الوفاء بما حلفتم به عليه مع تغليظ ذلك وتأكيده وتعظيمه وتشديده ، فاتقوا الله اذ تلقوه بايمانكم حانثين ولعهوده ومواثيقه ناقضين ،

---

(١) المؤمنون ٢٣/ و ٩ و ١٠ و ١١ .
(٢) بنسخة (هـ) انكر .

ولحدوده متعدين ، ولأمره مخالفين ، ولنهيه مرتكبين ، فقد حرم عليكم بنقضكم العهود وحنثكم في الايمان ما كان الله عز وجل أحله لكم من النكاح والمكاسب والمطاعم والملابس والمشارب ، ولزمتكم صدقات أموالكم ، وعتق رقيقكم ، وما أوجبتموه من النذور على أنفسكم ، فان لم تفوا بذلك ارتكبتم الحرام (١) ، وانغمستم وارتطمتم في الخطايا والآثام،أعاذنا الله واياكم من ذلك أجمعين، وأدخلنا في جملة عباده المؤمنين ، الذين يوفون بعهده ولا ينقضون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ·

واعلموا رحمكم الله أن رعاية الحدود والوفاء بأمانة المواثيق والعقود لا يكون الا بعد علم بما أخذت عليه وعقدت فيه ، وحفظه والقيام بواجب فرضه ، فاعرفوا ما عاهدتم الله عليه وما ألزمتكم أنفسكم اياه له ولأوليائه ، وما قيل لكم في ذلك وما أخذ عليكم فيه ، ولا يكن مر بكم يومئذ صفحا فنسيتموه ، أو تكونوا قد عرفتموه فتهاونتم وضيعتموه ، فمن يكن ضيع ذلك بعد أن أخذ عليه

---

(١) بنسخة (هـ) الجرم ·

وعلم ما ضيع منه فليتلاف نفسه فيه بالتوبة مما ضيع والرجوع الى حفظ ما استودع ، فمن نسى ذلك أو شيئا منه ، فليستأنف أمره وليسأل تجديد الاخذ عليه ، ليرجع بالاعتراف والتوبة الى الله ، والى وليه فيه ، ولا يتمادى على السهو والتغفل فيلقى الله ناسيا لآياته ، مضيعا لعهده قد نبذه وراء ظهره ، فيكون عند الله أخزى وأشقى ممن لم يجد له عهدا ، اذ كان المضيع للأمانة أسوأ حالا ممن لا أمانة في يديه ، والحجة على من علم آكد منها على من لا علم لديه ، وان كان الفرض على من جهل السؤال وعلى من ضل طلب الهداية عند الضلالة ، وقد جعل الله عز وجل المنافقين في الدرك الأسفل من النار فهم فيها أشد عذابا وأسوأ حالا من الكفار لأنهم علموا ثم أنكروا والكفار أصروا على الكفر لما كفروا ، فكل في عذاب الله ووثاقه ، والمنافق أشد عذابا لنفاقه ، وكذلك من نقض العهد أو نسيه هو أسوأ حالا ممن لم يؤخذ عليه وكلاهما لا خير فيه ٠

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم من أخبارهم بما فيهم وسؤالهم والاستغفار لهم

قال الله عز وجل : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفــروا الله واستغفر لهــم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقال في المنافقين « واذا قيل لهم تعالــوا يستغفر لكــم رســول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهــم مستكبرون (١) فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون الا من قبل أوليائه اذ هم أبــواب رحمتــه لخلقه وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفــع ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل (٢) .

---

(١) المنافقون ٦٣/٥ .
(٢) بنسخة (م) وجد .

والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله صلى الله عليه وعلى آله فهو لمن وصل طاعته بطاعته من الأئمة من أهل بيته ، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عز وجل عن عباده وارتفعت مغفرتـه لخلقه ، وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه منهم ، كلا ان الله جل ثناؤه لم يخل أرضه من حجة على عباده ، ومفزع وملاذ لخلقه ، وباب لرحمته ودليل عليه لبريته رأفة منه لعباده لئلا يكون عليه حجة لأحد من خلقه أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولم نجد لما جهلناه من عليم ولا خبير ولا مفزع نلجأ اليه في استغفار ذنوبنا ، كما ذكر الله عز وجل في كتابه لما قبض الرسول فقد أخبرهم عز وجل في التنزيل أنه وصل طاعته وطاعة رسوله بطاعة أولي الأمر من بعده وفي أمره اياهم بطاعتهم وتسميته اياهم دليل على تعبدهم بطاعتهم ورد الأمور كلها اليهم والتسليم فيها لهم ، فينبغي لاتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عز وجل جعلهم لهم أبوابا لرحمته وأسبابا لمغفرته فمن خالف شيئا مما عاهدهم عليه أو ضيع أمرا تقدموا اليه أو اقترف شيئا أشفق منه فعليه أن يأتيهم ويرفع ذلك من أمره اليهم تائبا متنصلا مما صار اليه ،مستغفرا

من ذنوبه فيه ، مستشفعا الى الله بامام دهره من ذنبه ، كما أمر الله عز وجل في كتابه ودعا اليه عباده ، ولا يصر على ذنوبه وخطاياه ونسيانه ، ويتمادى على اقترافه وموبقاته غير تائب منها ولا مقلع عنها فان الله عز وجل قال في كتابه « يحب التوابين ويحب المتطهرين » ويكره أن يؤتى من غير جهات أبوابه أو يتسبب اليه الا من أسبابه ٠

قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « نحن أبواب الله وأسبابه لعباده ، ومن تقرب منا قرب ، ومن استشفع بنا شفع ، ومن استرحم بنا رحم ، ومن أعرض عنا ضل » وقد جاء عن بعض أهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله قول رفعه الى علي عليه السلام أنه قال : ينبغي لكل من عرف امامه أن يخبره بما فيه ويطلعه على ما لديه ، وعلى ما يحسنه ويقوم به ليستعمله فيما يرى استعماله له مما يرى أنه ينهض به ويستطيع به » ٠ وهذا عندي وجه حسن ينبغي لأتباع الأئمة أن يفعلوه ، بعد أن يصدقوا في قولهم ولا يكتموا شيئا يعلمون من أنفسهم ، ولا يكن مرادهم بذلك استشرافا بها للعمل ، ولا طلبا للرياسة ، بل يكون قصدهم بذلك وجه الله الكريم وابتغاء ثوابه

العظيم في أداء الأمانة (١) الى أئمتهم والوفاء بعهدهم ، وانهاء ما يرون أنه من النصيحة لهم كما أخذ لهم في ذلك عليهم ، فان من علم من نفسه ما يرى أن امامه اذا رأى استعماله فيه عاد ذلك بالصلاح في أموره فكتم ذلك وطواه عنه فهي خيانة خانها ونصيحة لله ولرسوله ولوليه أخفاها ، واذا أنهى ذلك على العدل والصدق وسلك فيه سبيل النصيحة والحق فالخيار بعد ذلك فيه الى امامه وعليه السمع والطاعة لما يأمر به ، والتصرف فيما صرفه فيه والمصير الى ما أصاره اليه علم ذلك أو جهله ، أو كان عند نفسه مستضلعا به أو ضعيفا عليه ، فان الله عز اسمه يؤيد من أقاموه ، ويوفق من نصبوه اذا تولى ما ولوه بنصيحة ونية واخلاص ضمير وصفاء طوية ، فوالله أحلف صادقا لقد أمرت غير مرة بأمر ما أحسن ولا أرى أني أستطيع شيئا منه ولا أقوم به ، فما هو الا أن أخذت فيه فقويت ، فأعنت عليه وجئت به على ما أريد منه ، فعلمت أن الله جل ذكره يبلغ أولياءه ما أملوه ، ويتم لهم ما أرادوه.فانما الناس لهم بمنزلة الادوات التي تعمل بذواتها فاذا استعملت عملت دقائق

---

(١) بنسخة (م) الامانات .

الاعمال وجلائلها ، ولقد عهدت بعض (١) المؤمنين وقد ندبه بعض الأئمة الى عمل فسارع اليه ، وهو عندي وعند من يعرفه لا يحسنه ولا يقوم بشيء منه ، وكنت خاصا به ، فذكر لي أمره بعض من أغتم بما أضيف اليه ، وخشي التضييع والتقصير عليه ، وحركني على ذكر ما يخاف من ذلك عليه له أن يستعفي من ذلك ، فلقيته فيه فقال : والله اني لعلى ما ذكرت ، ما أحسن ما ندبت اليه قبل هذا ، ولكني أعلم اذ ندبني اليه ولي الله أني أقوم اليه وأحسنه ، والله لو دفع الي ذهبا أو فضة وقال خذ هذا فصغ منه كذا وكذا لأخذت ما دفعه الي وتناولت العمل على علم مني ويقين ونية أن الله تعالى يهديني الى ما أراده الامام ويوفقني الى أن أعمل له من ذلك العمل ما أراده وانتهى فيه محبوبه ، وأبلغ منه أمله ، ورأيت يقينا عظيما ونية صادقة ، وعلمت أن تخلفه عما ندب اليه يقرب من تخلفه من عمل الصياغة التي ضرب المثل به ، ولم أر لمراجعته وجها ، فانصرفت عنه وغدوت من غد اليه فأصبته قد اعتل بعلة ظاهرة ثقيلة أقامت عليه الى أن بعث

(١) بنسخة (م) لبعض .

الى المكان الذي ندب اليه غيره ، ثم أفاق فعلمت أن الله صرف ما كنت خشيته عليه لجميل اعتقـــاده وحسن نيته ، فأقل ما يسمع في ذلك من ندب الامام أو من قام بأمره وليا من أوليائه الى أمر من أموره ، أن يطلعه على ما فيه ، ويخبره بلسان الصدق بما عنده ولديه من كفاية في ذلك أو عجز أو تقصير عنه ، فما رآه بعد ذلك سلم اليه فيه وسارع الى ما يأمر به ، فانا لا نقول مـــا قـــاله الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون امامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفي صدور عباده تعالى الله الذي تفرد بعلم ذلك دون خلقه ، ولم يطلع على ما شاء منه الا من ارتضى من رسله ، قال جل ثناؤه: « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله » وقال لنبيه صلى الله عليه وعلى آله : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » وانما أراد هؤلاء الفسقة (١) بما نسبوه الى الأئمة صلوات الله عليهم من ذلك دفع امامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب

---

(١) بنسخة (م) الفساق .

والناس يرونهم لا يعلمون ذلك بما يشاهدون منهم من سؤالهم واستخبارهم عما غاب عنهم وأنهم لا يعلمون من أمور الناس الا ما ظهر منها لهم ، لم يكونوا أئمة عند أولئك الفسقة ، ولا عند من قبل منهم اذ لم تكن تلك الصفة التي وصفوهم بها منهم .

وأكثر ما نقول في الأئمة صلوات الله عليهم في مثل هذا أنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم ، وينظرون بنور الله جل ذكره ، وأنه يمدهم بتوفيقه ويهديهم بهدايته ، ويطلعهم على ما سألوه أن يطلعهم عليه بلطيف تدبيره وحكمته وفضله عليهم ونعمته ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « ان المؤمن ينظر بنور الله » وهو الامام صلوات الله عليه ، فان قال قائل ان ذلك لكل مؤمن ، فنظر الامام بعد رسول الله (صلعم) أفضل لأنه فوق جميع المؤمنين ، وقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه سئل عن قول الله عز وجل : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » فقال : نحن المتوسمون ننظر بنور الله الى عباده ، فاحذروا فراستنا فيكم » وأشباه هذا مما قد يجري مجراه ، يطول به الكتاب ان ذكرناه .

(٧)

ذكر ما ينبغي من اقتصار من شملته دعوة الامام على ما قيل لهم وعرفوه دون أن يتعاطوا أو يتكلفوا ما لم يؤذن لهم فيه

هذا باب لو تقصيناه وذكرنا ما ينبغي أن يدخل فيه لطال القول به ، وخرج عن حد هذا الكتاب وفيما نذكر منه ان شاء الله كفاية لأولي الألباب ٠
ينبغي لمن أخذ عليه ميثاق الأئمة صلوات الله عليهم أن يفي به ويرعاه كما قدمنا ذكر ذلك ، ولا يخالف شيئا مما أمر به فيه ولا يتعداه ، ولا يغلو ولا يقصر ، ولا يتعدى شيئا مما أمر به ، ولا يتأول فيما سمعه ويسمعه من أولياء الله برأيه ولا يقول فيه بهواه ، ولا يحدث نفسه بذلك ولا يميل اليه بخواطره ، وليكن كما قال مولانا جعفر صلوات الله عليه لبعض أوليائه : « كونوا لنا دعاة

صامتين » فقيل له : كيف ندعوا جعلنا الله فداك ونحن صموت (١) ؟ فقال : «بأعمالكم» وذكر كلاما طويلا يحض فيه على أعمال البر ثم قال : « فاذا رآكم الناس على مثل هذه الاحوال علموا انما دعوناكم الى خير ، فسارعوا الينا فكنتم دعاتهم » فهكذا ينبغي لمن يقلد أمر أولياء الله أن يلزم الخير ويعمل به ، ويجتنب الشر ويحذره ، ويعمل بطاعة الله وبفروضه ويجتنب معاصيه وما أسخطه، ويدع المراء والجدال في الدين حتى يطلق له في ذلك ويؤذن له ذلك من اليه الاطلاق من بعد أن يراه أهلا له ويرتضيه ، فرب مجادل لا يقوم بما يتقلده يكون فتنة لمن هو ألحن بالحجة منه اذا جادله فقطعه، ولذلك أمر أولياء الله بالصمت ، وتعبد الله به أولياءهم ، ولم يأذنوا في الكلام الا لمن ارتضوه ، وأطلقوا ذلك له ، وقال بعضهم لمن قد أذن له فيه : « متى ناظرك من تر أنه ألحن بالحجة منك فاستتر بالباطن » يعني عليه السلام أن يقطع كلامه ، ويوميء الي أن في ذلك باطنا لا يتهيأ له ذكره ، ولا يتمادى في الكلام الى أن يظهر عليه مخاصمه ،

---

(١) بنسخة (م) صامتين .

فيكون ذلك فتنة له وداعيا الى الاصرار على ما هو عليه ، ولكن يبقيه على شبهة من أمره ان كان قد وجل في مناظرته ، وان علم أنه ألحن منه قبل المناظرة لم يناظره واستتر كذلك بالباطن منه ما أمكنه ، لأن احتجاج المبطلين ربما شبهوا به وخيلوا للسامعين أنه الحق ، كما خيل السحرة لموسى بحبالهم وعصيهم ما خيلوه حتى أوجس في نفسه منه خيفة موسى ، وان كان الحق بعد ذلك يدمغ الباطل ويأتي عليه ، ولذلك أمر بالصمت والكتمان ،وقال جعفر بن محمد (صلعم) لبعض شيعته وقد عرضوا أنفسهم للقيام معه فقال : « سألناكم ما هو أيسر من هذا فلم تفعلوا » قالوا : وما هو يا ابن رسول الله (صلعم) ؟ قال : « قلنا لكم اسكتوا فانكم ان سكتتم رضينا فلم تفعلوا » ولتثبيت أمر أولياء الله حدود وشرائط وآداب ودرجات يرتقي فيها الداخل في ذلك ، فاذا لم يقف على ذلك أولا فأولا ويرتقيه درجة درجة ووصل اليه منه الشيء قبل وصول ما يجب أن يصل اليه قبله هلك ، كما أن الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته لهلك ، ولهذا نظائر وأمثال يطول بها الكتاب ، ولذلك كان علم أولياء الله غير مطلق الا لمن أطلقوه له لأنه لو كان

مطلقا لأهلك بعض الناس به بعضا كما يهلك الطفل لو حمل عليه الطعام في حين ولادته ، والجنين لو استخرج قبل أن ينتهي الى حد التمام ، فلهذا ولامتحان العباد أسر أولياء الله ذلك وأخفوه ، ولو نشروه وأظهروه على حقيقة الواجب فيه لما تخلف أحد عنه ، ولكن الله عز وجل تعبد عباده بالايمان بالغيب فقال جل من قائل : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (١) » الى قوله « أولئك هم المفلحون » . ولو شاء عز وجل لجبل العباد على الطاعة ، أو لأمر مناديا ينادي من سمائه بمراده ، ولم يبعث من رسله الى عباده من بعث ، ولو فعل ذلك لبطل التفضيل وزالت المحنة ، ولم يكن ثواب ولا عقاب ولكان الناس كلهم أمة واحدة ، ولاستووا في النعم والعلم والفضل والله أعلم بما أراده وأولياؤه الذين أطلعهم على ما شاء من غيبه ، لا اله الا هو وحده لا شريك له .

---

(١) البقرة ٢ .

(٨)

ذكر الصبر على نوائب الأئمة صلوات الله عليهم والشكر لما أولوه من جزيل النعمة

الصبر والشكر خلتان من خلال العبادة ، فمن صبر على طاعة الله وطاعة أوليائه التي افترضها لهم على عباده وعول في السراء والضراء عليهم واحتمل الأذى لله ولهم كان من الصابرين الذين وصف الله عز وجل ثوابهم في كتابه فقال : « انما قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا أفضوا (١) الله تعالى ثواب الصابرين في غير موضع من كتابه وأثنى عليهم فيه فوصف ما أعد لهم من ثوابه ، وبالصبر عن المعاصي والصبر على الطاعة نال الصابرون ثواب ربهم وأفضوا الى كرامته وحلوا

---

(١) سورة الزمر ١٠/٣٩ .

قرار جنته (فاصبروا أيها المؤمنون ولا آفضوا (١) الى كرامة الى أنفسكم عن المعاصي) واصبروها على الطاعات وأدبوا أنفسكم بالصبر على نوائب أئمتكم ولا تسأموها وسارعوا اليها ولا تملوها فانها عبادة تعبدكم الله بها فيجزي منكم العاملين ويثب الصابرين ٠

وبالصبر على نوائب أولياء الله قامت حدوده في أرضه وظهر فيها حقه وأمره ودان من دان فيها بطاعته ٠ فالصابرون لأمر أولياء الله القائمون بنوائبهم المسارعون الى أمرهم فيما أرادوهم له وندبوهم اليه واستعملوهم له وصرفوهم فيه هم المطيعون لله القائمون بنوائب الله الحافظون لحدود الله المجاهدون في سبيل الله والمقيمون لأحكام الله الظافرون بالرحمة والثواب وطوبى لهم وحسن مآب ٠ ولو لم يصبر العباد على فرائض الله ويقوموا بنوائب أولياء الله وتواكلوا وتخاذلوا في دين الله لحلوا محل شقواتهم وويلهم ولتخطفهم الناس من بين أيديهم ومن خلفهم ولأكل القوي الضعيف واضطهد الشريف عند نفسه المشروف ، نعوذ بالله من البلاء والخذلان ومن الفشل في الدين

---

(١) بنسخة (م) تفضوا ٠

المحل بأهل البأس والهوان ٠
وأما الشكر فبه تدوم النعم ، ويرجى المزيد للشاكرين ، وبتركه دخل التاركون له في جملة الكافرين ٠ قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (١) » وقال رسول الله (صلع) : « من أسدى اليه معروف فليكافيء عليه ، فان لم يجد مكافأة فليشكر ، فان لم يفعل فقد كفر النعمة » ولم يرض الله عز وجل من عباده فيما أنعم به عليهم بشكر النعمة له وحده تعالى وتقدست أسماؤه لا شريك له حتى أوجب عليهم شكر من أجرى نعمته لهم على يديه من خلقه فقال : « أن اشكر لي ولوالديك الي المصير (٢) » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « يقول الله جل ثناؤه يوم القيامة لبعض من لم يشكر المعروف لمن صنعه اليه ، صنع بك عبدي فلان فلم تشكر له وكفرته ، فيقول يا رب علمت أن ذلك منك فشكرتك ، فيقول معروفا الله عز وجل : كلا لم تشكر لي اذ لم تشكر من سببت لك ذلك على يديه » ٠ فاذا كان شكر تربية الوالدين ،

---

(١) سورة ابراهيم ٧/١٤ ٠
(٢) سورة لقمان ١٣/٣١ ٠

وشكر نعم الناس بعضهم على بعض فرضا وتركه كفرا ، فكيف بشكر الأئمة صلوات الله عليهم على ما لا يحصى من نعمهم ، أما وليهم فقد أحيوه من موت الجهل بالحكمة ، وبصروه بعد عمى الجهل واستخرجوه الى النور من الظلمة وهدوه من الضلالة وعلموه من بعد الجهالة واستنقذوه من النار ، وأحلوه محل الابرار ، وأنعموا عليه بنعم لا تحصى ، وجمعوا له من خير الآخرة وخير الدنيا .

وأما من اتبعهم لطلب دنياه فقد بلغ من الخير فيما عندهم مداه ، ونال من فضلهم أضعاف ما يوجبه لهم ما تولاه هذا ان نصح لهم فيما استعملوه فيه وقام بواجب ما كلفوه وأخذ أجرهم عليه ، وان غش واقتطع وخان وأكل وهو يسرح في نعمهم ويرتع (١) في أموالهم ويتقلب في معروفهم وأفضالهم آمنا من عقوبتهم ووادعا في سلطانهم فالحجة له ألزم وعليه آكد نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، والشكر أوجب عليه وتلا في نفسه بالتوبة والانابة الى النصح والاصابة أولى به ، وأما من شمله سلطانهم من رعاياهم ، ومن حوته مملكتهم ممن قرب أو بعد منهم ، فقد غمرهم فضلهم واحسانهم

---

(١) بنسخة (م) ويلعب .

من حيث يرون ويبصرون ، ومن حيث يجهلون ولا يعلمون ، فمن ذلك أنهم يمسون ويصبحــون في أسرابهم وادعين آمنين قد كفوا عنهم أيدي المعتدين وحموهم من تطاول المفسدين ودافعوا عنهم الاعداء المتطاولين (١) بمهج أنفسهم وما خولهم الله من أموالهم على تخلف أكثر الناس عن الجهاد معهم كما افترضه الله عز وجل عليهم بأموالهم وأنفسهم، ومنعهم الواجب في أموالهم أن يدفعوه كما افترض الله عليهم من أموالهم ، مع سؤال من جاهد معهم العطاء لهم واقامتهم ذلك لهم ، فمن شاء أن يعرف قدر نعمتهم عليه فلينظر الى ما هو فيه من نعمة الله عنده من أهل ومال ، ولينظر الى من هو أشد منه قوة وأطول يدا وأحمى جانبا وأمنع منعة ليس في يديه جزء مما خول الله تعالى هذا من نعمه ، ولا له ورع ولا دين يحجزانه عن اختطاف ذلك من يديه ، والتغلب بالقوة والقدرة فيه عليه ، وأنه لا يمنعه من ذلك الا سلطان أولياء الله وخــوف انتقامهم منه ، واجتياحه من جديد الارض ان فعله، فذلك ما غل أيدي مثل هؤلاء عمن لا يستطيع دفعهم عن نفسه في الحاضر والبادي والسبيل وبكل موضع،

---

(١) بنسخة (هـ) المتطولين ·

وهم أكثر الناس وأهل الشدة والبأس ، فلولا خوفهم أولياء الله على أنفسهم لاجتاحوا من قدروا عليه من أخذهم ولأكلوا أموالهم وارتكبوا حرمهم ولاجتاح بعضهم بعضا ولأهلك الضعيف القوي واستباح الفقير الغني ، ثم [عاد] كذلك بعضهم على بعض حتى يهلك الحرث والنسل ، ولكن الله عز وجل ذكره جعل أولياءه سببا لحياة خلقه وبقاء ما أنعم به عليهم من نعمته وأوجب شكره على ذلك وشكر من سببه على يديه كما تقدم ذكرنا له ، وبهذه النعمة التي أوجب الله عز وجل شكرها عمرت الارض وعاش فيها أهلها ولولا ذلك لذهبت الانفس والاموال ونعيرت الامور واستحالت الاحوال ، وهذا باب لا يتعاطى بلوغ حقيقة ما يوجبه اذ كان ما ينبغي أن يدخل فيه وما يوجبه ويقتضيه هي نعم الله على خلقه التي أجراها على أيدي أوليائه وهو يقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (١) » وانما شرطنا أن نذكر طرفا من كل فن في هذا الكتاب وجملا وعيونا من كل باب ، وفيما ذكرناه بلاغ لذوي الارباب والله ولي التوفيق .

---

(١) سورة ابراهيم ٣٤/١٤ .

(٩)

ذكر ما يجب لأولياء الله على عباده من الجهاد معهم في سبيله

قال الله عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ... الى قوله : « وبشر المؤمنين (١) » . وقوله تباركت أسماؤه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (٢) » الى آخر السورة .

وقال الله عز وجل : « وان طائفتان من المؤمنين

---

(١) سورة التوبة ١١١/٩ .
(٢) سورة الصف ١٠/٤١ .

اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهمـــا على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمـــر الله (١) » • وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « أفضل الاعمال بعد الايمان بالله الجهاد في سبيله » ، وقال : « أجود الناس من جاد بنفسه في سبيل الله » • فالجهاد في سبيل الله مع أولياء الله ومن أقاموه من عباده على من عند عليهم من مسلم أو كافر فرض من الله في أرضه بين عباده • فالجهاد الجهاد عباد الله مع أوليائه في سبيله بأموالكـــم وأنفسكم كما افترض الله في كتابه عليكم ، فانتم حسنات المجاهدين من قبلكم ، فاجهدوا أنفسكم في أن تكون لكم حسنات من المؤمنين من بعدكم • لأن من جاهد في سبيل الله فاستخرج مشركا من شركه الى الاسلام أو باغيا من بغيه الى العدل والايمان طائعا بالاجابة أو كرها بالأسر ثم من الله عليه أو على عقبه بالايمان فهو ونسله وما تناسل منهـــم حسنات لمن كان سبب ذلك لهم ، وله مثـــل أجر أعمالهم من غير نقص من أجورهم ، وحقيق على الله ألا يدخل محسنا منهم الجنة ويقصر بمن كان

---

(١) سورة الحجرات ٤٩/٥١ •

سببه اليها دونها ما لم يأت من الذنوب ما تحرم به الجنة عليه ، وفي مثل هذا قال [أبو جعفر محمد بن علي] صلوات الله عليه لرجل قد قال له. : « يا بن رسول الله ان الناس يجدون في أنفسهم من قولكم انكم مواليهم • فقال عليه السلام : الناس ثلاثة أصناف ، فصنف دعوناه الى الله ورسوله فأجابنا فمنة الله ومنة رسوله ومنتنا عليه ، وصنف دافعنا فقتلنا ، وصنف من الله عليهم ورسوله عام الفتح ، فمن أي صنف من هذه الاصناف شاء أن يكون هذا القائل فليكن فمنتنا عليه ونحن مواليه •

فالأئمة صلوات الله عليهم هم أسباب رحمة الله لخلقه ونعمته عليهم بدعوتهم اياهم اليه بالجهاد في سبيل الله والدعاء اليه وهم الذين استنقذوهم من الكفر الى الاسلام ، ومن البغي والشرك الى التوحيد والايمان ، فهم حسناتهم وعتقاؤهم ومن أعان أولياء الله في ذلك وظاهرهم عليه وتولاهم واتبعهم فيه ، فهو منهم لقول الله عز وجل حكاية عن خليله (١) ابراهيم : « فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم (٢) » وقوله تبارك وتعالى : « ومن

---

(١) بنسخة (هـ) الخليل •
(٢) سورة ابراهيم ٣٦/١٤ •

يتولاهم منكم فانه منهم (١) فالمجاهدون كما أمرهم الله عز وجل بأموالهم وأنفسهم في سبيل ربهم داخلون في سعة هذا الفضل الذي لا يقصر عن أهل الدنيا لو دخلوا فيه بل يسعهم منه ما يقصر آمالهم دونه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله لعبد الله بن رواحة وقد تخلف عن بعث بعثه فغدوا متوجهين : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم » فأي فضل يكون أعد أعظم من فضل لا يدرك بجميع ما في الارض ، لم يستثن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من ذلك شيئا ، وكتاب الله يؤكد ذلك . قال الله تعالى فيمن أوجب له النار : « لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم (٢) » فاذا كان ما في الارض ومثله معه لا يوجب الجنة التي أوجبها الجهاد في سبيل الله بقوله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » الآية وقال : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم

---

(١) سورة المائدة ٥٤/٥ .

(٢) سورة التوبة ٤١/٩ .

وأنفسكم » . فالجهاد في سبيل الله أفضل من الدنيا وما عليها ومثله معه كما قال الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وذاك أن المجاهد في سبيل الله يبذل مهجة نفسه فيه التي لو عرضت عليه الدنيا وما فيها ومثلها معها ببذلها لما قبلها ، فكذلك يكون ثوابه على الله الجنة التي أعدها لأوليائه ولأهل طاعته من عباده ، فاعرفوا عباد الله قدر الجهاد في سبيل الله مع أئمتكم وثوابه ولا تغفلوا عنه ولا تجهلوا مقداره ولا تتهاونوا بأسبابه ولا تزهدوا في ثوابه ، فان المجاهدين (١) في سبيل الله سادات عباد الله وأهل المنزلة عند أولياء الله ، قد عظم الله في أعين عباده وقلوبهم في الدنيا مقدارهم، وأجرى على ألسنتهم ذكر فضلهم ، وأنطقهم بالدعاء لهم في صلواتهم ومواضع رغباتهم وحين رجاء قبول دعائهم وعلى منابرهم في جمعهم وأعيادهم ،وفضلهم في الآخرة عليهم ورفع فيها منازلهم ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : « المجاهدون في سبيل الله قواد أهل الجنة » .

واعلموا أيها المؤمنون أن للجهاد في سبيل الله

---

(١) بنسخة (م) المجرهون .

مع أئمتكم حدودا وشرائط وأدبا تخرج عن حد
هذا الكتاب ، جماعها تقوى الله وطاعة الأئمة ومن
نصبوه وبذل النصيحة والاجتهاد في اجتياح أعداء
الله والتسليم لأوليائه والعمل بطاعة الله وحفظ
حدود الله ، فقد سئل مولاكم جعفر بن محمد
صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل « ان الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله » فقيل له يابن اسول الله :
هذا لكل من جاهد في سبيل الله ؟ فقال : قد سئل
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله عن ذلك ، لما
نزل عليه فلم يجب فيه ، فأنزل الله بعقبه عليه
صفة هؤلاء المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم
فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١) »
ثم قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه (للسائل)
فمن أراد الجنة فليجاهد في سبيل الله على هذه
الشرائط والا فهو في جملة من قال رسول الله
(صلع) وعلى آله : (ينصر الله هذا الدين بقوم

---

(١) سورة التوبة ١١٢/٩ .

لا خلاق لهم (١)) ٠

ففي هذا أيها المؤمنون بلاغ لكم ، فجاهدوا مع أئمتكم في سبيل ربكم ،كما افترض عليكم،وحافظوا على حدوده التي حد لكم ، وارغبوا بأنفسكم عن أن تكونوا ممن لا خلاق له ، كما قال نبيكم ،واقبلوا عن الله قوله الذي به أمركم حيث يقول : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وتذاكروا فضل الجهاد وذكروا به اخوانكم ، فقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال : جميع أعمال البر كلها في عمل الجهاد كنقطة في بحر لجى ، وان ذلك في المشقة والكلفة » ٠ كذلك كم فرق بين ألم الصلاة والصيام وغير ذلك من أعمال البر وبين ألم ضرب السيوف وطعن الرماح ، ومشقة السفر ومباشرة الحر والقر والاغتراب عن الولد والاهل ، وكم بين بذل المال وبذل النفوس في غير ذلك من أعمال البر اذا قيس تعبه ومشقته الى تعب الجهاد ومشقته ، كان كما قال رسول الله (صلع) « كالنقطة في بحر لجى » وكذلك قدر ثوابه ودرجات أهله وفضل

---

(١) سورة التوبة ٤١/٩ ٠

أصحابه بقدر ما ينالهم من ذلك فيه ، وكذلك وجوهه ووجوه مشقته واختلاف أحواله كغرق البحر الذي اقتحم أهله الخطر فيه ، وركبوا هول البحر له لم يغدوا فيه غدوة آمنين ، ولا أراحوا له روحة من الخوف سالمين ، ولا ظلوا فيه ساعة مطمئنين ، فهم طول ما هم فيه من ثواب المكافحين لعدوهم المناصبين لهم ، فان عطبوا فيه فلهم آجر الشهداء بلا تغلب ولا قهر من الاعداء ، وان نجوا منه فلهم ثـواب الخوف فيه وحمل أنفسهم على التلاف به رجـاء ثواب ربهم في ركوبه ، ولغدوتهم فيه بلا شك أفضل من غدوة القوم في البر التي قال رسول الله (صلع) لابن رواحة : « لو أنفقت ما في الارض ما بلغت ثواب غدوتهم » ولقد شبه المائد منهم بالمتشحط في دمه في سبيل الله في البر ، وحبهم في اقتحامه سلك الموت بركوبه البحر ، كالميت في سبيل الله في البر لا حتف أنفه ، والسالم فيه كالظافر في البر بعدوه ، وقد قال رسول الله (صلع) « كل بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله » فأخبر أنه لا ثواب أعظم منه، فاعرفوا رحمكم الله قدر ثواب الجهاد ولا تغفلوه ولا تركنوا الى الهوينا (١) والدعة فيه ، فليس

(١) بنسخة (م) الهـون .

على الهوينا والدعة ثبت أصل دينكم الذي أنتم عليه ، ولا بهما بسق فرعه الذي أنتم ثمرته ، ولو ركن الى ذلك من كان قبلكم لما كنتم أنتم ، فصلوا ما ابتدأه لكم اخوانكم الذين أمركم الله تعالى بالاستغفار لهم ولا تهدموا ما بنوه لكم ، فقل بناء ترك لم يتعاهد فيرم الا انهدام أورث أو انثلم ، والخفض والدعة من عدوكم هو كان سبب زوال ما بأيديهم اليكم ، مع فضل الله الذي قضاه لكم ، وعطائه الذي أعطاكم باجتهادكم واجتهاد من قبلكم ونصب أنفسكم في جهاد عدوكم ، فان أردتم الدنيا فاستديموا خيرها ووفروها بجهاد عدوكم ، وان أردتم الآخرة ، فالله خير وأبقى لكم ، واحذروا وعيد الله جل ذكره لمن تخلف عن الجهاد والنفقة في سبيله بأن يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ، فويل لمن كره الله انبعاثه في سبيله فثبطه واستبدل به غيره ، أعاذنا الله واياكم من الحور بعد الكور ، ومن الادبار بعد الاقبال ، ومن الذلة بعد العزة ومن النقص بعد الكمال ، قال علي صلوات الله عليه « لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم قوما أنتم أولى بالحق منهم فيعذبونكم ثم يعذبهم الله بعد ذلك » واعلموا

رحمكم الله أن أس الجهاد وقطبه ، وذروة سنامه وعرفه ، وأصله وفرعه ، في الطاعة والصبر ، فاصبروا رحمكم الله واثبتوا اذا لقيتم عدوكم كما أمركم الله ربكم ، وطاولوهم الصبر ، فانه ان زاد صبركم على صبرهم طرفة عين غلبتموهم باذن الله فلا يكونوا على باطلهم أصبر منكم على حقكم ، وكذلك فاصبروا على البأساء والضراء في مسيرتكم ومقامكم ، وأطيعوا أئمتكم ومن أقاموه لكم وأمروه عليكم ، فأطيعوه ما دام على طاعة الله وطاعتهم ، فان عصى الله وعصاهم فلا طاعة في المعصية له عليكم ، ولا يهولنكم كثرة أعدائكم ، فان الله عز وجل يقول وهو أصدق القائلين : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » فاصبروا يكن الله معكم ، فانه من كان الله عز وجل معه فهو ناصره ومؤيده ، ومن نصره كما قال الله فلا غالب له ، وقد نصر نوحا صلى الله عليه لما ناداه « اني مغلوب فانتصر » وقد تمالى عليه أهل الارض فأهلكهم الله ، ولو شاء عز وجل أن يجتاح أعداءه بعذابه لفعل ، ولكنه جل ثناؤه أراد أن يبلوكم بالاعمال ، ويفضل بعضكم على

بعض بالطاعات (١) والاقبال ، ولو شاء لجعلكم كما قال الله « أمة واحدة » ولكنه فضل بعضكم على بعض ، فتنافسوا في الفضائل ، وتوسلوا اليه بالأعمال الصالحة ، فانها من أقرب الوسائل ، وسلموا اليه ما اشتراه منكم من أموالكم وأنفسكم بالجنة التي جعلها ثمنا لذلك لكم ، فانها أموال ان لم تسمحوا بها في ذلك سمحتم بها فيما هو قليل النفع لكم ، وان أمسكتموها لغيركم وبقيت تبعاتها عليكم ، وأنفسكم ان لم تبذلوها في رضاء ربكم وتبيعوها بالجنة التي اشتراها الله بها منكم انها ذاهبة من غير عوض واصل اليكم ، وأجلها مع ذلك مؤقت ولا يقربه اقتحامكم بها في جهاد عدوكم، ولا يباعده ضنكم عنه بها ولا شحكم دونه عليها ، فما أيسر ما تبذلونه في ثمن الجنة وما هو الا اختبار لكم ومحنة ، وما أنتم في الجهاد الا بمنزلتين، كما أخبركم الله تعالى على احدى الحسنيين اما السلامة التي اياها تؤثرون واليها تركنون ، أو الشهادة فالى الحياة الدائمة تصيرون ·

قال الله عز وجل « ولا تحسبن الذين قتلوا في

---

(١) بنسخة (م) بالطاعة ·

سبيل الله أمواتا بل أحيـــاء عنـــد ربهم يرزقون فرحين .. الآية (١) » فلمثل هذا عباد الله فليعمل العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، وفي الجنة ونعيمها فليرغب الراغبون ، انهـــا دار لا يحـــزن ساكنوها ولا يظعن عنها قاطنوها ، من الدر والجوهر قصورها ، وكاللؤلؤ والمرجان حورها ، ومن المـــاء الفرات والخمر والعسل واللبن أنهارها ، وبأصناف الثمار الدائمة تتهدل أشجارها ، ويحلون فيها من أساور من ذهب ، ولباسهم فيها حرير ، والملائكـــة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وعلى الأسرة والأرائك يتكئون ، ومن الحرير والسندس يفترشون ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرن ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ولهم فيها ما تشتهي الانفس ، ولهم فيها ما يدعون ، فهذه أيها المؤمنون بعض صفات الله ربكم للدار التي اشترى بها منكـــم

---

(١) ال عمران ٣/١٦٩ - ١٧٠ .

أنفسكم وأموالكم في الجهاد في سبيله فابتاعوهـا بأنفس عما قليل تفارقونها ، وأموال في غير طائل تنفقونها أو لغيركم تتركونها ، فما صفقة أربح منها لكم ، ولا بيعة أجدى منها عليكم ، وفقنا الله واياكم الى ما يرضيه فيزلف به اليه انه خير مسئول وأفضل مرجو ومأمول ٠

(١٠)

ذكر ما يجب للأئمة الصادقين أخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات

قال الله عز وجل ذكره لمحمد نبيه (صلعم) «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (١)» فهذه الصدقة فيما اتفق عليه أهل القبلة هي صدقة الابل والبقر والغنم ، وما يجب في الاموال وما أخرجت الارض وصدقة الفطر ، يؤخذ ذلك من أهله في كل عام وسميت أيضا زكاة لقول الله عز وجل « وتزكيهم بها » وقدر ما يؤخذ من ذلك معروف مفهوم في كل ما يجب فيه لو ذكرناه لخرج عن حد هذا الكتاب ، أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وعلى آله بأخذه من أموال المسلمين وصرفه في وجوهه التي سماها الله تعالى في كتابه اذ

---

(١) التوبة ١٠٣/٩ .

يقول جل ثناؤه « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (١) » ففرض الله عز وجل على المسلمين اخراج ذلك من أموالهم في كل عام ، ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وفرض عليه صرفه في وجوهه (٢) التي سماها الله فكان المسلمون يدفعون ذلك الى عماله الذين استعملهم على قبض ذلك منهم ، وهم العاملون عليها الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يضع ذلك في مواضعه التي أمره الله بوضعها فيها ، فلما قبضه الله اليه لم يقل أحد من المسلمين ان فرض ذلك قد زال عنهم بل كانوا يدفعون ذلك الى عمال من ولوه أمرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واحدا بعد واحد الى أن رأوا بني أمية يستأثرون به ولا يضعونه مواضعه فسألوا من بقي منهم من أصحاب رسول الله (صلعم) فأمروهم بدفع ذلك اليهم ، فراجعوهم فيه وذكروا لهم ما يفعلون به

---

(١) التوبة ٦٠/٩ .

(٢) بنسخة (م) الوجوه .

فقال لهم بعضهم : ادفعوا ذلك اليهم ولو أكلوا به لحوم الحيات وقال بعضهم : ادفعوه اليهم ولو شربوا الخمر وأكلوا به لحم الخنزير ٠

وقال بعضهم : ادفعوه اليهم فانما عليكم ما حملتم وعليهم ما حلموا أرأيتم لو أخذتم لصوصا فقطعتم أيدي بعضهم وتركتم بعضا أكنتم مصابين (١) في ذلك قالوا : لا ٠ قال : فلو دفعتموهم اليهم فخلوهم أو قطعوا بعضا وتركوا بعضا أكان عليكم أنتم من ذلك شيء قالوا : لا ٠ قال : فعلى هذا تجري الأمور عليكم وأنتم تدفعون صدقاتكم اليهم وعليهم وضعها في مواضعها فمن تعدى فيما عليه باء باثمه ٠

ولهذا من الواجب نظائر يطول ذكرها لو كان لرجل على رجل دين ولرجل آخر على ذلك الذي له الدين دين فدفع الذي له عليه الدين ما كان له عليه الى الذي له الدين على الذي له دينه عليه بغير أمره لما بريء من ذلك ولكان عليه أن يدفع ما عليه الى الذي هو له ٠ وكذلك الامر في الزكاة على من هي عليه أن يدفعها الى من أمر بدفعها اليه وعلى من

---

(١) بنسخة (هـ) مصابون ٠

يقبضها أن يصرفها في الوجوه التي أمر بصرفها فيها ، فمن تعدى ذلك من دافع أو قابض باء باثمه ولزمته تباعته قال عز وجل : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » فلو أن رجلا استخلف رجلا على مال له وأمره بأن يدفع منه شيئا معلوما الى رجل سماه ، وأمر ذلك الرجل بأن ينفق ما يدفع منه اليه على عياله (١) أو في وجوه أمره بأن ينفقه فيها ففعل كل واحد منهما ما جعله اليه وأمره به جاز ذلك من فعله ولم يكن عليه فيه تباعة لمن وكله وان تعديا أو أحدهما شيئا من ذلك وخالف أمر من وكله أو دفع من أمر بالدفع الى الرجل ما أمر بدفعه الى غيره ممن أمر الرجل بالنفقة عليه أو دفعه اليه أو دفع ذلك الى غيره كان متعديا في فعله ، وضامنا الله عز وجل فيما أمره به واستخلفه عليه أحرى بالظلم والتعدي وأجدر بالعقوبة . فافهموا رحمكم الله هذا المعنى أيها المؤمنون وتواصوا به واحتجوا به على من خالفكم فيه ، فانهم لن يجدوا منه مخرجا ولا حجة الا من ظلم منكم وكابر الحق فان الله عز وجل يقول « لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم » فمن دافق الحق واحتج

---

(١) بنسخة (هـ) عائلته .

بالباطل فهو ظالم فلا تخشوه .

وكذلك اجتمعوا على أن هذه الصدقات محرمة على رسول الله (صلعم) وعلى أهل بيته خاصة وحلال لسائر المسلمين غيرهم عامة ، اذا دخلوا في جملة أهلها ، ولا تحل لأحد من أهل بيت رسول الله (صلعم) وان دخل في ذلك أو كان فقيرا أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو كان من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا ، لم يحل له من ذلك شيء وفي ذلك أبين البيان على أن الله عز وجل جعل نبيه والأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أمناءه على قبض الصدقات من أهلها ووضعها مواضعها وحرمها عليهم وعلى أهل بيوتاتهم ليعلم الناس أنه لا حظ لهم ولا لمن قرب منهم فيها ولا يكون في أنفسهم عليهم شيء من أجلها ونزههم الله عز وجل عنها لما كانت غسالة ذنوب عباده وطهورهم. وكذلك قال رسول الله عليه وعلى آله « أدوا زكاة أموالكم فانها طهور لكم » وعوض الله عز وجل رسوله (صلعم) والأئمة من أهل بيته مما حرمهم من ذلك الخمس فجعله لهم في أموال عباده من المؤمنين مرة واحدة ليس على أنه يجري في الاموال كما تجري الزكاة في كل عام فقال جل ثناؤه « واعلموا

أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (١) » ٠

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء ونحن شركاؤهم في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه معهم والخمس لنا دونهم نعطي منه يتامانا (٢) وفقرانا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا في الصدقات شيء ٠ وقول الله عز وجل « فان لله خمسه » معناه أنه يراد به وجه الله وثوابه وللرسول اذا كان حيا ، فلما قبضه الله اليه عاد ذلك الى الامام من أهل بيته من بعده يعطي منه قرابته وأهل بيته الذين يراهم لذلك أهلا ويصنع فيه ما أحب ٠ فعلى جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه في كل عصر الى امام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله (صلعم) ، كما أمر الله عز وجل بذلك مع زكاة أموالهم ، وليست الغنيمة ما أخذ من أيدي المشركين خاصة بل ذلك كل كسب كسبه المرء فهو غنيمة ٠

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « أوجب

---

(١) الانفال ٤١/٨ ٠

(٢) بنسخة (م) ايتامنا ٠

الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله لنا حقا عليهم فمن منعنا حقنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب » فافهموا أيها المؤمنون قول مولاكم واعلموا أن الخمس لأولياء الله عليكم في جميع ما أفدتموه ولا تظنوا أن ذلك في الغنيمة التي تؤخذ من أيدي العدو خاصة بل ذلك في جميع ما أغنمكم الله اياه عامة ، والغنم في لغة العرب ولسانها الذي أنزل الله عز وجل به القرآن الكسب والغرم النفقة ومن ذلك قيل لمن يستأثر بالزكاة يرى فلان حبس الزكاة مغنما واخراجها مغرما ، ومنه قال رسول الله (صلعم) في الرهن : لصاحبه غنمه وعليه غرمه . فاعلموا أيها المؤمنون كما علمكم الله أن ما غنمتم من شيء أي كسبتموه أو فدتموه فان لله خمسه تتقربون به اليه وللرسول تدفعون الى امام عصركم ثم اليه الأمر فيه وفيما يعطى منه فقراء أهل بيته ويتاماهم (١) وأبناء سبيلهم فما كسب أحدكم من كسب أو أفاد من فائدة فليخرج خمسه في وقت وصوله اليه فيدفعه الى امامه ثم ينظر الى ما يبقى في يديه فيزكيه لكل

---

(١) بنسخة (هـ) وايتامهم .

عام على واجب الزكاة فيه وليس عليه فيه بعد ذلك خمس .

واعلموا أن ذلك الخمس وما يجب عليكم من الزكاة ليس لكم ولا من أموالكم وانما هو أمانة لله في أيديكم ولرسوله كما قال تبارك اسمه . وقد حذركم في كتابه خيانته فقال « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ولذلك قال رسول الله (صلعم) : « لا ينقص مال من صدقة » فلو كان هذا القول محمولا على ظاهره لكان عدد المال اذا أخرجت منه الصدقة نقص ولكنه أراد صلى الله عليه وعلى آله ان الصدقة المفروضة ليست من مال من هي في يديه اذ كان الله تعالى قد أوجب اخراجها عليه وانما ماله ما بقي له من بعد اخراجها وهي مال لقوم آخرين في يديه بأمانة الله عنده تعبده عز وجل بحفظها عنده ، وامتحنه بدفعها الى من أمره بدفعها اليه .

فأما الزكاة التي تسمى أيضا صدقة كما قدمنا ذكر ذلك حين ذكرنا أنها تجب في كل عام على الناس في صنوف أموالهم فان الأئمة يقتضون الناس

فيها ويجبرونهم على اخراج ما وجد في أيديهم منها ويقبضونها ويجاهدون من منعها ، لقول الله عز وجل « خذ من أموالهم صدقــة تطهرهم » فأمره بأخذها وأمر الله واجب فعله على من أمر بــه والأئمة في ذلك يقومون بعد رسول الله (صلعم) بمثل ما كان يقوم به في قبض الصدقات وكذلك استحل أبو بكر دماء بني حنيفة اذ منعوه زكــاة أموالهم ، وتأول ذلك لنفسه وليس ذلك الا للأئمة ، فأما من منع زكاته غيرهم فهو مصيب في منعه اياها، وأما الخمس فليس يكره الأئمة الناس عليه اذ كان حقهم وهم مخيرون(١) بين تركه وأخذه ولم يتعبدهم الله عز وجل بأخذه من أيدي الناس كما تعبدهم بأخذ الزكاة ، ولكنه تبارك اسمه تعبد الناس بدفعه اليهم بقوله « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه » فأوجب ذلك على الناس وأخبرهم أن الخمس مما رزقهم وأغنمهم له ولرسوله ولــذي القربى ، ولم يأمر رسول الله بأخذه أمر الزام كما أمره بأخذ الزكاة ، ولكنه جعل ذلك له وللأئمة من بعده وأوجب على الناس دفعه اليهم ، وأخبرهم أنه لهم دونهم ، فليس يحل لهم منه شيء الا ما أحله

---

(١) بنسخة (هـ) مختارون .

للائمة لهم ، ثم جعل عز وجل للائمة صلوات الله عليهم عند استنقاذهم أولياءهم في أموالهم وفيما أحبوه وما رأوا أن يمتحنوهم به ما رأوه من ذلك ، وقد امتحن الله عز وجل أنبياءه بضروب من المحن يقصر عن ذكرها هذا الكتاب ، وامتحن رسول الله (صلعم) وصيه علي بن أبي طالب في حياته في سبع مواطن ذكرها على صلوات الله عليه وذكرها يطول، ويخرج عن حد هذا الكتاب ، وهي موجودة في الكتب، ذكرها لرأس اليهود اذ سأله من امتحان الله الاوصياء في حياة الانبياء ، وبعد وفاتهم وامتحنه صلوات الله عليه في ماله فأمره بالخروج منه كله ففعل ، ثم قاسمه اياه مرتين حتى أنه قاسمه خاتمه وجبرائيل شاهد لذلك ، وامتحن علي صلوات الله عليه الحسن أيضا في ماله فقاسمه اياه مرتين حتى نعله ،والناس يروون هذا عن الحسن أنه قاسم ماله مرتين حتى نعله فجعل في كل مرة فرد نعله فيما أخرجه ،وامتحن الأئمة أوصياءهم بصنوف من هذه المحن ، وكذلك يمتحنون أولياءهم بما أحبوه عند تبليغهم درجة الفضل في أموالهم وفيما رأوا من امتحانهم فيه غيرها ، فقد امتحن رسولِ الله صلى الله عليه عليا صلوات الله عليه بالقتل فرضي به واضطجع على

فراشه ليقتل دون رسول الله (صلعم) ، وكما امتحن الله عز وجل ابراهيم خليله بذبح اسماعيل وصيه ، ومن ذلك قول الله تعالى : « ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ، واذا لأتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما (١) » فمن امتحنه أولياء الله منكم أيها المؤمنون فليصبر للمحنة ، وأيسر ذلك المال ، وليس فيه توقيت على الأئمة عليهم السلام ولا فيما يمتحنون به أولياءهم عند ارتضائهم أحوالهم وابلاغهم درجة الفضيلة عندهم .

ثم المؤمنون بعد ذلك مندوبون (٢) الى التطوع بالانفاق من أموالهم في سبيل الله ورفع أعمالهم منها الى أوليائهم ، أو من أقاموه لقبض ذلك منهم ، وذلك مفوض فيه اليهم وليس عليهم فيه توقيت ولا فرض معلوم وانما هو تطوع كما قال الله عز وجل « فمن تطوع خيرا فهو خير له » وكذلك ما يفعلونه في أموالهم من صلة أرحامهم وصلة اخوانهم

---

(١) النساء ٦٦/٤ - ٦٧ - ٦٨ .
(٢) بنسخة (م) منتدبون .

والصدقة على الفقراء والمساكين منهم ومن غيرهم أيضا مرغب فيه اليهم فيما أحبوا منه وتقربوا الى الله به فهذا هو الفرض أيها المؤمنون عليكم في الذي خولكم الله وأنعم به عليكم ، وجعلكم مستخلفين فيه ، وصيره أمانة في أيديكم ، ليبلوكم أيكم أحسن عملا كما قال الله عز وجل في كتابه وأوجبه وافترضه عليكم في ايجابه ، فالله الله عباد الله في أمانة الله في أيديكم فيما خولكم من أموالكم فانها من أعظم المحن عليكم في ايجابه .

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئا أشد عليهم مما فرض عليهم في أموالهم ، وفي ذلك هلك عامتهم فأنزلوها المنزلة التي أنزلها الله تعالى فانها أمانة عندكم وليست من أموالكم التي أباحها الله لكم فما أقبح بالرجل أن يأتمنه أحد من سائر الناس من ملي أو ذمي على أمانة أو يودعه وديعة فيخونه فيها أو يستأثر دونه بها أو يجحده اياها ان هذا لما يرغب عنه كثير من عوام الناس أنفة عنه وكيف بمن خان أمانة الله وأمانة رسوله وأكل حق أوليائه واستأثر دونهم به ، فان أكل ذلك وأنفقه فقليل والله ما اعتاض منه ولو استغنى وعف عنه لوجد

رزقا حلالا غيره لأن الله عز وجل قد تكفل بالرزق لعباده وان أبقاه لورثته من بعده ، فيالها من حسرة عليه ونقص في دينه ٠

وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه في قول الله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها (١) » ٠ قال يعني فيما ترك في ماله أن يخرج منه ما افترض الله عز وجل فيه عليه هيهات والله قد حيل بينه وبين ذلك وقال : « ومن لم يؤد زكاته لم تقبل صلاته » وقال الله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » الى قوله « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢) » فلم يوجب لهم أن يكونوا مسلمين (٣) حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ٠

وقال جعفر بن محمد ص٠ع : ما خان الله زكاة ماله الا مشرك ٠ وقال الله عز وجل « فويل

---

(١) المؤمنون ٢٣/٩٩ ـ ١٠٠ ٠
(٢) التوبة ٩/٥ ٠
(٣) بنسخة (هـ) مسلمين ٠

للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » • ومن أعطى من ذلك غير أهله فلم يؤته كما بينا فيما تقدم ذكره في هذا الباب • فادوا أيها المؤمنون ما افترضه الله عليكم في أموالكم الى أئمتكم واعلموا أن أنفسكم لا محالة أشد شيء مكابرة لكم وامتناعا في ذلك عليكم فاغلبوها عليه ، فان الله يقول « ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه (١) » وقال : ان النفس لأمارة بالسوء » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : « الهوى اله معبود » وتلا قول الله « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » وقال ان الصدقة لا تخرج من يد المؤمن حتى يفك عنها لحيا سبعين شيطانا كلهم يثبط عنها ويأمر بحبسها ، وقال الله تعالى : « ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (٢) » وقد ذكرنا فيما تقدم أن مال المرء هو الباقي له بعد اخراج الواجب مما في يديه فلم يسأل الله عباده ذلك ، ولكنهم ان تطوعوا منه بشيء كان له ثوابه ، ولو قطع عز وجل هذا الذي ذكره في كتابه لكان منه تقريع وتبكيت لعباده ، فكيف وقد قال بعده : « ها

---

(١) البقرة ٢/٢٦٧ •

(٢) محمد ٤٧/٣٧ •

أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (١) » فاغلبوا أنفسكم على ما افترض الله عليكم واملكوا فيه أهواءكم ولا تتخذوها الها لكم ، واخسأوا عنكم شياطينكم ، وانما تعطون جزءا مما أعطاكم الله قد ائتمنكم عليه ولم يجعل لكم سبيلا اليه ٠

واعلموا أن قول الله عز وجل : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول » يقع على كل شيء أصبتموه واكتسبتموه وصار اليكم وغنمتموه من كسبكم أو عمل أيديكم أو ما ساقه اليكم ورزقكموه أو بما أنالكم أئمتكم واعطوكموه، فعليكم اخراج خمس ذلك على ما ذكرناه مما قل أو كثر منه ودفعه الى أئمتكم أو من أقاموه (٢) لقبضه منكم فريضة فرضها الله لهم عليكم ، أعاننا الله واياكم على أداء فريضته وأعاذنا من خيانته وخيانة رسوله وأوليائه ٠

---

(١) محمد ٣٨/٤٧ ٠

(٢) بنسخة (هـ) قاموه ٠

(١١)

ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم في جميع الأمور الى الأئمة

قال الله جل ذكره : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقال تباركت أسماؤه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » فالتسليم هو الطاعة ظاهرة وباطنة لمن أوجب الله طاعته ، وقرنها بطاعته جل ثناؤه وهو رسوله (صلع) والأئمة من أهل بيته ، فينبغي لجميع الأمة أن يسلموا لهم ويتلقوا بالقبول ما كان منهم بظاهر لفظهم ، واعتقاد قلوبهم وعلانيتهم وسرهم ، فيما أحبوه أو كرهوه أو رضوه

---

(١) النساء ٦٥/٤ .

أو سخطوه أو عرفوه أم أنكروه حتى يعود عندهم المكروه لديهم من ذلك محبوبا ، والسخط رضاء ، والانكار معرفة ، وان لم تكن معرفة بتحقيق فلتكن معرفة بتسليم واقرار منهم بالعجز والتخلف والجهل عن حقيقة تلك المعرفة ، وأن الذي كان من الأئمة صلوات الله عليهم حق وصواب وصدق ، وان كان ذلك في أنفسهم وهم يعلمون براءتهم مما عسى أن عوقبوا أو قرنوا به ، فليعلموا ويوقنوا عجزهم عن ادراك ما في أنفسهم ، فان الأئمة صلوات الله عليهم أعلم بذلك لأنهم بنور الله عز وجل ينظرون وبأحكامه يقضون ويحكمون ، وأكثر من ضل عن الهدى لا يرى أنه ضل بل يحسب أنه على حق وصواب وهدى • قال الله عز وجل في قوم هذه حالهم : « ويحسبون أنهم على شيء الا أنهم هم الكاذبون » • وقال تعالى : « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١) » •

وهذا باب ثقيل محمله صعب (٢) مأخذه وبقدر

---

(١) البقرة ١١/٢ - ١٢ •

(٢) بنسخة (م) عسير •

ذلك تكون درجة حامليه ومعتقديه والآخذ به
وبمثله امتحن العالم موسى عليه السلام لما أراد
صحبته ، وقد روي أن رجلا من أهل الشام أتى
ابن عباس فسأله عن أفعال كانت لعلي عليه السلام
في حربه فقال له ابن عباس : سل عما يعنيك .
فقال له الشامي : اني لم آتك من حمص لحج ولا
عمرة ، ولا أتيتك الا لشرح ما سألتك عنه من أمر
علي فقال له ابن عباس : ان علم العالم صعب
لا يحتمل ولا تقر به قلوب أكثر الناس ، ان مثل
علي فيكم كمثل العالم وموسى قال الله تعالى لموسى
لما سأله النظر اليه يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من
الشاكرين .

وقال : وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا » فظن موسى عليه السلام أنه بلغ غاية
العلم كما ظننتم أنتم ان علماءكم قد بلغوا ذلك
وأثبتوه لكم ، فأراه الله عجزه بامتحان العالم اياه
وصحبته له ، فلما خرق العالم السفينة عن علم
بذلك كان خرقه اياه برضى الله وسخط موسى
عليه السلام وجهله ، وقتل العالم الغلام عن علم ،
فكان قتله لله رضا وسخط موسى وأقام العالم

الجدار بعلم وكانت اقامته اياه لله رضا وسخط موسى ذلك وجهله ، ثم بين له العالم ذلك وأوقفه عليه كما ذكر الله تعالى في كتابه ، وبين ابن عباس للرجل أمر ما سأله عنه ، ولو سلم ذلك لعلي صلوات الله عليه ولم يتمقبه من أمره ولم ينكره من فعله لكان ذلك أفضل ، وهو كان الواجب عليه كما أن ذلك كان الواجب على موسى ·

وقد اجتمعت الأمة أنه لا يجوز ولا ينبغي لأحد أن يتعقب ولا ينكر ما جاء به الرسول (صلعم) بل الواجب على الخلق تلقي ما جاء عنه بالقبول لقول الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » · وقال تبارك أسماؤه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فأخبر عز وجل أنهم ان لم يسلموا له لم يكونوا مؤمنين وأن ذلك التسليم لا يكون باللسان الظاهر حتى يعتقد بالقلب ولا يكون في النفس منه حرج · وكذلك ينبغي التسليم للأئمة ولا يجوز ولا يحل تعقب أفعالهم ولا انكارها بل الذي يجب أن يتلقى ما يكون منهم بالقبول ظاهرا وباطنا ونية واعتقادا وقولا وفعلا لأن الله عز وجل قرن طاعتهم

بطاعة رسوله وجعلهم خلفاء للأمة من بعده وهــذا أصعب ما حمل المؤمنون ، وبقدر ما يحتملون منه تكون درجاتهم عند الله وعند أولياء الله ، ولذلك قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « لا يحتمل امرنا ويقوم به الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو نحن أو من ارتضى الله من عباده » فأما ما ذكره صلوات الله عليه من احتمال الملائكة والنبيين فلما يكون من عند الله تعالى ، وأما ما ذكره من احتمال الأئمة فلما يكون من الله تعالى ومن رسوله (صلعم) وأما ما ذكره من احتمال العباد فلما يكون من الله عز وجل ومن رسوله ومنهم صلوات الله عليهم ، وقد فسر ذلك وبينه في حديث آخر قال فيه : « أمر الله ورسوله (صلعم) بطاعته عز وجل وأمرنــا بطاعته وطاعة رسوله وأمر الناس جميعا بطاعتــه وطاعة رسوله وطاعتنا » فقال للنبي « اتق الله » وقال لنا « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقــال للناس « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم »فينبغي لاتباع الأئمة خاصة ولعامة الناس(١) كافة أن يجهدوا أنفسهم ويدأبوها في رضاء خالقهم

(١) بنسخة (هـ) وللناس عامة .

وطاعته وطاعة رسوله والأئمة من ذريته وينصحوا لهم ويؤدوا لهم أمانتهم كما افترض الله عليهم ، ويلزموا الحذر والتحفظ من السقوط عندهم ، ويجتنبوا ما خالف محبوبهم ووقع بغير الموافقة عندهم ، فان رأوا أنهم قد قاموا بذلك ووفوا شرائطه ووقفوا على حدوده ، ولم يكن فيما بينهم وبين الله جل ذكره ما يتوقعون له أمرا يكرهونه منه ولا من أوليائه (صلعم) ، فنزل بهم أمر من الله تعالى أو من أوليائه صلوات الله عليهم فيه لهم عقوبة أو امتحان بأي وجه جرى ذلك ، وكان ذلك في أمر ينكرونه أو يكرهونه من جميع الأمور لم ينكروا من ذلك شيئا بظاهر أمورهم ولا باطنها ، ويسلموا لأمر الله ولأوليائه قوة وفعلا واعتقادا ونية ، وأيقنوا أن ذلك عدل من الله ومن أوليائه وصواب كله فان الذي ينالهم منه هم أهله أو أكثر منه ، وأن الذي عفا الله لهم وأولياؤه أعظم مما نالهم منه .

واعلموا أن الله سبحانه لا يجري على أيدي أوليائه عقوبة الا لمن استحقها ، ولا أمرا الا ما يرضاه ، فليحمد الله اذ عجل له بالعقوبة في الدنيا ولم يؤخرها الى الآخرة ، اذ كانت الآخرة أشد

عذابا وأبقى ، وان جعل عقوبتهم في دار الدنيا التي جعل فيها عقوبة أوليائه وأصفيائه وثواب من رأى أن يثيبه من أعدائه لئلا يتلقاه ولي له وعليه تباعة ولا عدو وله حسنة ، وقد عاقب كثيرا من أنبيائه في عاجل الدنيا بذنوب صغائر يعمل كثير من الناس أمثالها فلا يعاقبون في الدنيا عليها ومن عوقب منهم بها فلعله لا يدري بأي أسباب العقوبة كانت عنها .

وقد جاء عن الأئمة صلوات الله عليهم ذكر أسباب ما عاقب الله عز وجل عليه سليمان وأيوب ويعقوب ويونس وأن ذلك لصغائر كانت بينهم من الذنوب يخرج عن حد هذا الكتاب لو ذكرناه لطال الاخبار عنها لولا أن ذلك روي لما علم أن مثل تلك العقوبات العظيمة كانت من أجل تلك الذنوب وكذلك يعاقب المؤمن في الدنيا بما لعله لا يعلم كثيرا من أسباب ما يعاقب به فيها ، وقد قال الله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « ما توقون أكثر مما تلقون » وسئل

---

(١) سورة الشورى ٤٢/٣٩ .

عن قوله تعالى « ومن يعمل سوءا يجز به » فقيل له يا رسول الله لان كنا نجزى في الآخرة بكل سوء عملناه في الدنيا لقد هلكنا • فقال : ليس الأمور كما تظنون ، أما تصابون في الدنيا بمصائب ، أما تألمون أما تحزنون أما تصيبكم الآفات • قالوا : بلى يا رسول الله • قال : فذلكم ما تجزون به ، وقد جاء في بعض الاخبار أن رجلا حج فبينما هو يطوف اذ نظر بامرأة (١) في الطواف بين يديه فأعجبه ما رأى من خلفها ، فوضع يده على عجيزتها فغمزها بها ، فقالت : من هذا الذي يمس مني في هذا الموضع ما حرم الله قطع الله يده ، فانصرف الرجل من يومه الى منى وبات في رحله فبينما هو نائم اذ ثارت صيحة على سارق سرق متاعا لبعض الحجيج وذهب ليشد به وأصحابه في الطلب له في ظلمة الليل فأنبه الرجل في الصيحة وقام قائما فوافى السارق فرمى بالمتاع في وجهه وهرب ولحق القوم الرجل والمتاع في يده فأخبرهم الخبر فلم يقبلوا منه ، وقالوا : ما السارق غيرك !! ومضوا به الى السلطان وشهد عليه من رأى المتاع في يده

---

(١) بنسخة (هـ) مراره •

نقطعها ، فعلم الرجل أن ذلك عقوبة بما فعله في يومه ذلك ولو طال ذلك عليه لاشتبه عليه فيه ، وكذلك من نالته عقوبة من الله أو من أوليائه وهو عند نفسه بريء منها لعد ذلك كان لذنب غير الذنب الذي قرف به ورأى أنه بريء منه ، وقد يغفر الله عز وجل ويعفو عن عباده ما شاء من الذنوب في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، ويعجل من ذلك عقوبة ما شاء ويؤخر عقوبة ما أراد ، فله الحجة على من عاقبه والفضل على من رحمه ، فمن غفر ذنبه في الدنيا والآخرة ، فقد أكمل العفو عنه ، وأسبغ عليه النعمة ، ومن عجل عقوبته في الدنيا فقد خفف عنه العقوبة ، ومن عاقبه في الآخرة فقد عاقبه بما يستحقه وله جل ذكره الحجة البالغة .

(١٢)

ذكر الخوف من الأئمة صلوات الله عليهم والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم

ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه ، ويتقيهم كما يتقي الله ، اذ كان الله عز وجل قد قرن طاعتهم بطاعته وجعلهم الوسائط فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عباده ، فرضاهم موصول برضاء الله ، وسخطهم معقود بسخطه ، وبهم يثيب وبهم يعاقب .

قال جعفر بن محمد « والله ما هو الا الله عز وجل » وأومأ بيده الى السماء ، « ونحن » وأوما بيده الى نفسه ، وشيعتنا منا وسائر الناس في النار (١) ، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله ن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله سبقت طاعتنا عزيمة من الله الى

(١) بنسخة (م) في جهنم .

خلقه أنه لا يقبل من أحد عملا الا بنا ، فنحن باب الله وحجته وأمناؤه على خلقه ، وحفظة سره ومستودع علمه » فالواجب على جميع العباد التقرب بالطاعة الى أولياء الله والتزين بالأعمال الصالحة عندهم ، واتباع ما أمروا به ، واجتناب ما نهوا عنه ، والعمل بما يرضيهم ، ويزكو لديهم ويزلف به اليهم والخوف منهم ، اذ كان ذلك من القربات الى الله جل ذكره ، وقد وعد الله الخائفين منه جنته •

وجاء في الحديث أنه « من لم يخف من الناس لم يخف من الله » فهم الناس ههنا • كما قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه « نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامة وأحق الناس بالخوف من الأئمة من عرف مكانهم من الله » قال الله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « واتقون يا أولي الألباب » وأحقهم بذلك منهم من قرب مكانه ودنت منزلته من أولياء الله وعظم لديه فضلهم واحسانهم كما أن الملائكة المقربين أعظم خوفا من الله وأشد اجتهادا وعبادة له من سائر الناس ، وأكثر ما يجب الخوف على من في يده شيء يخاف انتزاعه منه كما جاء عن المسيح عليه السلام

أن بعض الحواريين صحبه في السياحة (١) فمرا في مفازة فجعل ذلك الحواري يكثر عليه ذكر الخوف من تلك المفازة ، فلما أكثر عليه من ذلك قال له المسيح عليه السلام أمعك شيء ؟· قال : نعم · وأخرج قطعة من ذهب فقال : ارمها ، فرمى بها وسار فلم يقل شيئا فلما تناسى ذلك قال عيسى ان هذا المكان يخاف فيه · قال الحواري : وما معنا يا روح الله فنخاف ·

فينبغي لمن زاده الامام منه قربا أن يزداد له تعظيما ومنه خوفا ، ولا يرى من تحفظ عند نفسه من السقوط وتعفف عن المحارم وتنزه عن الشبهات ورعى أمانته وعهده وبذل مجهوده انه قد أمن فيطرح الخوف ويدع المراقبة فان التهاون من رأس الخطايا وأن الملائكة الذين هم أكثر العباد خوفا من الله واجتهادا في طاعته لا ذنوب لهم ولكنهم يخافونها على أنفسهم ويتقونها ، ومن لم يخف شيئا أمنه أو اذا أمنه تهاون به ، وفي الخوف من الأئمة تعظيم أمرهم واجلال قدرهم ، وفي استشعار ذلك والمحافظة عليه وكونه نصب الأعين وفي سويداء القلوب وعين

---

(١) بنسخة (هـ) سياحته ·

الفكرة وحديث الانفس ما يؤمن معه الزلل المردي عندهم ، المسقط المنزلة لديهم ، المزيل نعمتهم عمن أنعموا بها عليه ، فلم يرعها حق رعايتها الموجب مقتهم نعوذ بالله من ذلك ومن دواعيه ومن كل عمل يوجبه ويدني اليه ، وانما يؤتي أكثر من يؤتي من الثقة بنفسه والاعجاب بعمله وقرب منزلته وما يختص به وبذريعة يرى أنه يتقرب بها ووسيلة يتوهم أنه يتوسل بسببها ومكان يقدر أنه يستحقه ، ودنو يخيل اليه أنه يوجب حقا وحرمة له ، وقد بينت في غير موضع من هذا الكتاب بأنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا ايجاب وانما نال العباد لما نالوه عندهم تفضلامن الله ومنة عليهم، وانما يقرب منهم ويدني اليهم ويرضيهم ويزكي عندهم الاعمال الصالحة ، وأبعد الناس منهم أهل المعاصي والعدوان وان تقربوا اليهم بالأرحام والدنو والمنازل والمكان ، وكم من قريب منهم بعيد من قلوبهم ، ودان اليهم شاسع عن محبوبهم ، نعوذ بالله من حال من هذه حاله ، فان من لا يعرفونه ولا يعرفهم وان ساءت حاله عند الله وبعد من رحمته أحسن حالا على سوء حاله ممن هذه أحواله ،فتقربوا أيها المؤمنون الى أئمتكم بصالح الاعمال ،وخافوهم

واخشوهم في جميع الاحوال ولا تغتروا منهم بالقرب والدنو والاعمال ، تقربوا اليهم بما يقربكم من قلوبهم ويدنيكم مما يرضيهم ولا تتكلوا على قرب الأبدان (١) دون القلوب ، وتتهاونوا بارتكاب المعاصي واتيان الذنوب ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه ذكر سوابق الاعمال فقال فيها : « وحب أهل بيتي حقا من قبل القلوب لا الزحم بالمناكب ومفارقة القلوب » فلا يرى منكم من قرب اليهم ببدنه أنه قريب اذا باعده منهم عمله. فان من الواجب على ما جاء في هذا الباب أن يكون أخوف الناس من الذنوب وأرجاهم للثواب من قرب منهم ولصق بهم ودنا اليهم ، وان كان ذلك محنة على الشاسع والداني فانه ينبغي أن يكون أخوف الناس من النار من قرب منها وأشوقهم الى الجنة من دنا اليها ، ثم لا تقنطوا مع الخوف منهم من رحمتهم، ولا تيأسوا ان عملتم سوءا فتبتم منه اليهم وانتصلتم من عفوهم وشفاعتهم فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن منه ولا يخافه الا الجاهلون ، وهم أبواب الله وأسبابه والوسائط بينه وبين عباده •

---

(١) بنسخة (هـ) الاجسام •

(١٣)

ذكر ما ينبغي من تولى من والى الأئمة ومحبته وعداوة من عاداهم وقطيعته وبغضه

قال الله عز وجل ووصف المؤمنين من عبـاده « أشداء على الكفار رحماء بينهم » وقال : انمـا المؤمنون اخوة ، وقال : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله (١) » الى آخر السورة (٢) وقال : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقـون اليهـم بالمودة » .. الى قوله .. « ومن يتولاهم منكـم فأولئك هم الظالمون » .

وقال رسول الله (صلع) في علي عليه السلام : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فمن عاداه

---

(١) سورة المجادلة ٢٢/٥٧ .
(٢) بنسخة (م) الايـة .

الله عز وجل وأمر بعداوته في كتابه وعلى لسان رسوله ونهى عن ولايته ومحبته ولو كان من الآباء والابناء والعشائر وكان من الاقرباء ، فحقيق على من عرف الله عداوته بترك الميل اليه والمودة له في ظاهر وفي باطن ، ولا على قرب ولا على بعد ، ولا لرجاء ولا خوف ، وقد قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه « من أحب أن يعرف محبنا من مبغضنا فلينظر الى أهل مودته فانه لا يجتمع حبنا وحب عدونا في قلب مؤمن » وقد قدمت في هذا الكتاب ما يجب على العباد من محبة أولياء الله ، واخلاص القلوب واعتقاد الضمائر والنيات ، فعلى ذلك ينبغي أن يكونوا وعلى ما ذكرناه في هذا الباب من البراءة من أعدائهم واعتقاد عداوتهم ما داموا على النصب والعداوة لهم ، وترك مودتهم والميل والركون اليهم ، لقول الله جل ذكره « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار (١) » ، وأظلم الظالمين من نصب لأولياء الله وعاداهم .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه شيعته فقال : « شيعتنا من أدنى البعداء

(١) سورة هود ١١٣/١١ .

ووالاهم على مودتنا ، وفارق الاهل والاقرباء في عداوتنا ، شيعتنا من اذا رضينا رضي واذا سخطنا سخط واذا خفنا خاف واذا أمنا أمن ، شيعتنا من لا يوالي لنا عدوا ولا يعادي لنا وليا » وهكذا تكونون يا أتباع أولياء الله المتدينين بامامتهم ، وميزوا الناس بقلوبكم وأنتقدوهم واعلموا أن جميع الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم ، الا أن أهل كل صنف منهم يتفاضلون ولا يدرك علم يميزهم حتي يكونوا أصنافا معروفين وعلى طبقات موصوفين ، لتفاوت الهمم والعقول والمعرفة والاعتقاد والاذهان عن هذا التحصيل ، فالطبقة الأولى أهل ولاية الأئمة على درجاتهم في ذلك وطبقاتهم ومنازلهم ، والطبقة الثانية أهل عداوتهم على منازلهم في العداوة وأحوالهم في النصب ، والطبقة الثالثة قوم مستضعفون مذبذبون بين ذلك كما قال الله عز وجل : « لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا فأولئك « كالأنعام بل هم أضل سبيلا (١) » على أنهم مع ذلك أحسن حالا وان ساءت أحوالهم ممن نصب العداوة لأولياء

فينبغي لمن ميز الناس وانتقدهم هذا الانتقاد ،

---

(١) الفرقان ٤٤/٥١ .

وعرفهم هذه المعرفة أن ينزل كل امرىء منهم عنده بحيث أنزل نفسه وأنزله الله فيوالي من يوالي أولياء الله ويعادي من عاداهم ويرشد المستضعف ويهديه ويبصره ، وان سمع الحق أقبل عليه وأصغى اليه بقلبه ، ويدعو عدوه ويحتج عليه بعمله ، ولا يجعل له حجة عليه ، فيكون فتنة له كما قدمنا ذكره قبل هذا الباب في هذا الكتاب ، ويجري في ذلك ويمتثل فعل امامه وأمره ، ويسير بسيرته في المباينة والمداجاة والمكاشفة والمداراة ، لا يتعدى في ذلك أمره ولا يتجاوز فيه نهيه ، ويكون اعتقاده على ما قدمنا ذكره .

قال أبو جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال : « شيعتنا من لا يمدح لنا معيبا ، ولا يواصل لنا مبغضا ولا يجالس لنا قاليا ، ان لقي مؤمنا أكرمه ، وان لقي جاهلا هجره ، شيعتنا من قال قولنا ، وفارق أحبته فينا ، وأدنى البعداء في حبنا ، وأبعد الاقرباء في بغضنا ، شيعتنا المنذرون في الارض سرج وعلامات ونور لمن طلب ما طلبوا ، وقادة لأهل طاعة الله ، وشهداء على من خالفهم ، ممن ادعى دعواهم سكن لمن أتاهم لطفاء بمن والاهم سمحاء أعفاء رحماء ، هذه صفتهم في

التوراة والانجيل والقرآن العظيم ، ان الرجل العالم من شيعتنا اذا حفظ لسانه وطاب نفسا بطاعة الله وأظهر المكايدة (١) لعدوه بقلبه ، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم ، ولا يبدي ما في نفسه لهم ، ينظر بعينه الى أعمالهم الردية ، ويسمع بأذنه مساويهم ويدعو بلسانه عليهم ، مبغضوهم أولياؤه ، ومحبوهم أعداؤه » في كلام طويل ذكره صلوات الله عليه • فكونوا كما وصفكم الله وأولياؤه أيها المؤمنون عادوا في الله ووالوا في الله واقتدوا بأوليائكم واتبعوا أمر أئمتكم وأبدوا ما يبدونه واعتقدوا ما يعتقدون فانما جعلهم الله عز وجل لكم أئمة لتأتموا بهم ، وتمتثلوا أمرهم وتعادوا من عاداهم ، وتوالوا من والاهم ، وتحبوا من أحبوه ، وتبغضوا من أبغضوه ، من ولي أو عدو أو قريب أو بعيد ، وتعتقدوا ذلك لله ولوجهه فان ما يكون لله لا يشوبه الهوى ولا يدخله المراء والرياء • وفقنا الله واياكم لمحابه وجنبنا واياكم بسخطه •

تم الجزء الاول من كتاب الهمة بحمد الله وفضله
ويتلوه الجزء الثاني من كتاب الهمة

---

(١) بنسخة (م) العداوة •

الجزء الثاني
من كتاب الهمة



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

(١)

ذكر التسليم وترك الاعتراض على الأئمة فيما يولون من يتألفونه من الأمة

وقد ذكر الله عز وجل المؤلفة قلوبهم في كتابه ، وجعل لهم سهما في الصدقات يتألفون به ذكره في ايجابه ، وجعل للنبي صلى الله عليه وعلى آله في عصره ولكل امام في دهره ، اعطاءهم من ذلك ما يتألفون على الاسلام بـه ، وهم وجوه القبائل ورؤساء العشائر الذين يخشى جانبهم ويرجى باستمالتهم استمالة أتباعهم .

وقد روي أن عليا صلوات عليه بعث الى رسول الله صلى الله علىه وعلى آله مالا من اليمن فقسمه

رسول الله صلع بين الأقرع بن حابس (١) وعيينة ابن حصن وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهؤلاء رؤساء عشائرهم ، ومقدمو قبائلهم وهم من المؤلفة قلوبهم ، فوجد من ذلك ناس من أصحاب رسول الله صلع وقالوا : نحن كنا أحق بهذا • فبلغ ذلك رسول الله (صلع) فوبخهم فيه وقال : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبرها صباحا ومساء • فكسر ذلك منهم ،واعتذروا اليه واستغفروا مما كان منهم ، وأنه صلى الله عليه وعلى آله لما قسم غنائم حنين أعطى الأقرع ابن حابس مائة من الابل ، وأعطي عيينة بن حصن مائة أخرى ، فبلغ ذلك الانصار فوجدوا منه في أنفسهم وقالوا : آوينا ونصرنا وبذلنا أنفسنا وقتلنا ، فلما جاءت الدنيا يورثها رسول الله (صلع) أقواما قريب عهدهم بالاسلام لم يدخلوا فيه بحقيقة ولا لهم فيه عناء ولا جهاد وكثر كلامهم في ذلك ، فبلغ النبي (صلع) فأرسل الى سعد بن عباده فقال : ما كلام بلغني من قومك الانصار ؟ فقال : قد كان الذي بلغك يا رسول الله • قال :

(١) بنسخة (م) عابس •

فما كان منك أنت في ذلك ؟ فسكت وقال : لتقولن ·
فقال : يا رسول الله ما أنا الا رجل من قومـــي ·
فجمعهم النبي صلى الله عليه فلما اجتمعوا قال :
ما هذا الذي بلغني عنكم معشر الانصار ؟ قالوا :
قد كان ما بلغك يا رسول الله · فقال : أما الذي
قلتم انكم أويتم ونصرتم وجاهـدتم فقد صدقتم
ولئن قلت اني أصبتكم ضلالا فهداكم الله ربي ،
وأذلة فأعزكم بمكاني ، وفقراء فأغناكم بأسبابي
لقد صدقت ، أفما ترضون اني أعطيت قوما مـن
الدنيا ووكلتكم الى دينكم ، وأن الناس ينصرفون
بالشاة والبعير وتنصرفون أنتم بي الى منازلكـم
ورسول الله راض عنكم · فبكوا وقالوا : رضينا
يا رسول الله فاستغفر لنا ربك ما كان منا فقال :
يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ·

فهذا أمر قد اعترى قديما أصحاب رسول الله
صلى الله عليه ضرب الحسد فيه وأغراهم الشيطان
به فغارت أنفسهم (١) بما رأوه من فعل رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله بمن رأوا أنهم أحق منهم
بما أنالهم منهم وأنهم أقدم جهادا وأكثر في الاسلام

---

(١) بنسخة (هـ) نفساتهم ·

عناء وأصلح اعتقادا واسلاما فمن أناله رسول الله (صلع) ما أناله ممن أراد أن يتألفه بذلك على الاسلام ويحببه اليه لما رأى (صلع) وعلى آله أن له في ذلك للاسلام صلاحا وللمسلمين ، ولم يفعل ذلك (صلع) الا عن أمر ربه وبوحيه جل ذكره ، وبعد أن نطق الكتاب به ولذلك قال لهم (صلع) : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبرها صباحا ومساء » والمؤلفة قلوبهم اليوم أكثر عددا والأئمة صلوات الله عليهم يمتثلون في أمرهم ما أمر الله عز وجل ومنة رسوله (صلع) ، ويعطونهم كمثل ما أعطاهم رسول الله (صلع) ويقربونهم ويدنونهم كما أدنى رسول الله (صلع) من أدناه منهم ، حتى أنه بسط لبعضهم رداءه فأجلسه عليه وقال : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه • ويعفون ويصفحون صلوات الله عليهم عن كثير ممن قدروا عليه ممن نصب لهم وحاربهم وأعان عليهم ،اقتداء بسنة جدهم محمد (صلع) وعلى آله فقد ناله من قريش ومن بمكة من الأذى ما قد علمه الله ، فلما أظفره الله بهم وأظهره عليهم عفا وصفح عنهم •

وكثير من أتباع الأئمة الا من عصمه الله ينكر قلبه ذلك وتغار نفسه به ، ويعتريه فيه ما اعترى

من ذكرناه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله سيما من وتروه ونالوا منه ، أو من كان له معهم موقف في الحرب أو نالته منهم محنة فهو يرى أنه أحق بما نالوه منهم فيحدث بذلك نفسه ، ومن عسى أن يفشي اليه سره ، فيقولون في ذلك ويكثرون ويتعقبون على الأئمة وينكرون ، وهذا من أعظم وصمات تدخل عليهم في الدين ، وقد ذكرت فيما تقدم ما يجب على الأمة لأولياء الله من التسليم وتلقى ما يكون منهم بالرضا والقبول فيما عرف وأنكر وساء وسر ونفع وضر ، ولو تدبر هؤلاء المنكرون فعل الأئمة ما فعلوه من ذلك حق تدبره ، ونظروا بعين الانصاف اليه لعلموا أن الله تعالى أعزهم بأوليائه وأنعم عليهم بهم وشرفهم بإمامتهم ، ورفعهم بسلطانهم ، وأعزهم بجانبهم كما قال رسول الله للانصار يوم خاطبهم بمثل ذلك . وان الذي يحتمله أولياء الله من تكلف ما يتكلفونه لمن يتألفونه أشد محملا وأصعب مرتقى من تسليم هؤلاء ان أسلموا ذلك اليهم لما في ذلك من كظم غيظهم والصفح عمن جنى عليهم ، وتعدى أمر الله فيهم وتقدم بالمكروه اليهم والى من قبلهم من الأئمة، وأنال أولياءهم المكروه بأسبابهم فيهم .

والأئمة (صلع) أغم بأوليائهم وما ينالهم في ذات الله من أعدائهم من أوليائهم بأنفسهم وذراريهم وآبائهم ، وأن جناية من غمضوا عن جنايته وقبلوا رجوعه وانابته أشد عليهم من جنايتهم على هؤلاء المنكرين أمرهم ، ولنظرة بالمكروه الى ولي من أولياء الله أعظم عند الله من قتل ملأ من الناس ، ولكن أولياء الله يرجعون في ذلك الى أمر ربهم ولا يتعدون ما به أمرهم ويقتفون سيرة جدهم وآبائهم ويرجعون الى ما جبلهم الله عليه من الصبر والعفو والاحسان والرحمة ، فينبغي لمن اعترض عليه ما قدمنا ذكره من انكار ما يكون منهم في هذا الباب وغيره ، أن يستغفر الله منه ويرجع عنه الى التسليم لهم والرضاء بفعلهم وترك التعقب والانكار عليهم، واعتقاد ذلك بقلبه واخلاص نيته فيه ، ويعلم بأن كل ما يفعله الأئمة صلوات الله عليهم صواب ورضا لله وحكمة من حكمه أودعهم اياها وأيدهم بها ووفقهم لها فما يدري متعقب ذلك ومنكره أن ذلك لو لم يفعله أولياء الله عليهم السلام وأبقى ذلك المتألف على فتنته أن ذلك المتعقب المنكر يكون صريع تلك الفتنة وقتيل حربها وماله غنيمة لها وأهله سباياها ، أعاذ الله أولياءه ومن يتولاهم من

غلبة عدوهم ، وأظهرهم على من ناوأهم وما أكثر ما يريد أولياء الله بما يتألفون الناس له الا للبقيا على أوليائهم وأنصارهم ، وحقن دمائهم وترك التعرض الى المتألف بهم اشفاقا منهم عليهم وطلبا لسلامتهم ورغبة في حفظهم ودعتهم ، اذ كانوا أرأف بهم من آبائهم (١) وأمهاتهم ، وأشفق عليهم منهم على أنفسهم ، فينبغي لهم معرفة حق ذلك وشكره بمنتهى طاقتهم ، وأن يعلموا أن شكرهم لا يبلغ وان أطنبوا فيه بعض حق انعامهم عليهم واحسانهم اليهم ولا يفيء من ذلك بشيء عنهم ألا أن الله سبحانه قد تعبد خلقه بالشكر فيه ،فليقضوا حق ما تعبدهم به .

وقد ذكرنا ما يجب من شكر انعام الأئمة فيما قبل هذا ، فاحكموا أيها المؤمنون (٢) أمر هذا وما هو في معناه وما يجري مجراه من أنفسكم وخذوها به وحاسبوها عليه ، وادفعوا عنها ما اعترض عليها منه بالنظر فيما ذكرنا وتمثيل ما مثلناه ، واعلموا أن لأولياء الله فيما استرعاهم الله عز وجل من

---

(١) بنسخة (م) ابوابهم .
(٢) بنسخة (هـ) مؤامرين .

أمور عباده نظرا يهديهم الى الصواب فيه ، وتدبيرا يوفقهم الى الرشاد ، وفعلا يحسـن العواقـب لهم وللعباد من أجله ، تنكره قلوب كثير من العباد كما أنكر موسى عليه السلام ما كان من العالم وهـو صواب عند الله ، وقد قدمنا في الباب الذي أجرينا ذكر ذلك فيه ما يدخل في هذا المعنى وينبغي استعماله فيه والله الموفق للصواب برحمته والتوفيق بكرمه .

(٢)

ذكر الأمر بتحري ما وافق الأئمة صلوات الله عليهم والنهي عن اتيان ما خالفهم

ينبغي لأتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يؤدبوا أنفسهم ويأخذوها في سرهم وعلانيتهم بما وافق أئمتهم ويحذروا خلافهم ، فقد قال الله عز وجل لمن قرن طاعتهم بطاعته وأوجب لهم من الحق من ذلك مثل ما أوجبه له ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) » وليعلموا أن احتمال الأئمة صلعم اياهم على خلاف الموافقة ان احتملوهم على ذلك احتمال مشقة (٢) واستثقال وفي ذلك سوء العاقبة في عاجل الدنيا أو في آجل الآخرة أو فيهما معا ، فمن ثقل وشق عليهم

---

(١) النور ٢٤/٦٣ .
(٢) بنسخة (هـ) مشرقات .

فقد استحق مقتهم وتعرض لعقوبتهم ومقـت الله وعقوبته •

وقد قيل ان الانسان الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ، لأن الحمل الثقيل يحمله البدن والانسان الثقيل انما يحمله الروح والروح أشرف مـن أن يحمل ثقلا سيما أرواح الأئمة التي طهرها الله وشرفها وعظمها وكرمها ، فالحذر الحذر عباد الله من الجناية عليها بغير ما وافقها ، فان ذلك أعظم في الاثم وأخوف من العقوبة ، وقل انسان من سائر الناس يحتمل غيره على خلاف موافقته وان احتمله لم يحتمله الا عن مشقة وبغضة واستثقال له • ولو علم أحدكم هذا من نفسه عند من يساويه مـن الناس ويشاكله ، أو من هو دونه لكان مما ينبغي له أن يتلافى ذلك من نفسه ويحذر منه ولا يعرضها للبغض والثقل عند أحد من الناس ، فكيف بـأن يعرضها لذلك عند من يرجون في الدنيا ثوابه وفي الآخرة شفاعته ، ويتوقعون خوفه ويجتنبون تبعاته، وكيف لا تعلمون أنفسكم فيما يقربكم منه ويزلفكم لديه ويحببكم اليه ويزكيكم عنده ، وفي ذلك لكـم خير الدنيا والآخرة والأمن من عقابهما ، فأجهدوا أنفسكم في التحفظ من هذا وما هو في معناه غاية

الجهد ، وتحفظوا منه نهاية التحفظ ، وارعوه حق الرعاية تظفروا بخير الدنيا والآخرة ، واعلموا أن معرفة الانسان نفسه في هذه الاحوال انما يدرك ما يدرك منها ويعرفه بمقدار ما فيه من العقل والحاسة والنباهة (١) والأدب واليقظة ، والناس يتفاضلون في ذلك بمقدار ما خول الله عز وجل كل امرىء منهم منه وخصه به وجعله فيه ، ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ولكن ينبغي لكل امرىء منهم بذل المجهود في تحري الصواب على كل الاحوال، واستعمال ما لا شبهة فيه وترك ما فيه الشبهة ، فقد قال رسول الله (صلعم) : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك ألا ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه ويوشك من يرعى حول الحمى أن يقع فيه » وفي هذا وقبوله عن رسول الله (صلعم) أدب وصلاح في أمور الدين والدنيا ، فينبغي للمؤمن أن يجري أموره كلها على هذا المجرى ، فما علمه ولم يشك فيه من خير أتاه ومن سوء اجتنبه ، وما شك فيه فلم يدر أخير هو أم شر أو حلال أو حرام توقف عنه ولم يقدم فيه على شبهة ، فعلى هذا ينبغي لمن أراد التقدم في

---

(١) بنسخة (هـ) والانتباه .

.مر من أمور الأئمة صلوات الله عليهم ويعلم أنه
يثقل عليهم أن يتأخر عنه ولا يتقدم فيه وان علم
أنه يخف عليهم ويقع بموافقتهم تقدم له ، وما
شك فيه من ذلك توقف عنه الا أن يضطر اليه ،
ولا يقف على صحيح علم فيه ولا يجد بدا منه
فيقدم المعذرة الى امامه ويسأله العفو عن خطأ ان
كان في ذلك منه فان في تقديم الاعذار في ذلك ما
يوجب التخفيف وقد قيل لبعض أهل الادب متى
يكون الانسان خفيفا على القلب ؟ قال : اذا اعترف
وأخبر أنه ثقيل • وهذا من باب الاعتراف ،
والمعترف بالذنب يميل له القلب •

وقد قيل ان المعترف بالذنب كمن لا ذنب له
وقد قال الله تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب
عليهم (١) » وقد قيل ان [عسى] من الله وعد ؟
والله كما قال لا يخلف الميعاد • والاعتذار توبة ،
وقد قال الله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين » ومن أحبه الله حببه لخلقه • وكذلك
ترك التحفظ والهجوم على الشبهات كالاصرار على

(١) التوبة ٩/١٠٢ •

الذنوب ، على أن ما ذكرناه من هذا الوجه لا ينبغي الاعتذار الا عند الاضطرار كما قدمنا الشرط فيه وليس ينبغي استعماله في كل الاحوال ، فليس المعتذر ولا التائب من الذنب في الحقيقة كمن لا ذنب له ولتكن التوبة تمحيص وقد أحب الله التوبة ولم يحب أن يعصى ، فمن وجد مندوحة عما اشتبه عليه أو على ما أيقن بالخطأ فيه فينبغي له التخلف عنه والدخول فيما لا خطأ ولا شبهة فيه •

ومما ينبغي الاحتراس منه والتيقظ له أن يحذر كل الحذر من قرب من الأئمة أو بعد أن يرى أن له ذماما عندهم أو حرمة توجب حقا عليهم أو عملا يستحق له الثواب منهم فانه بما توسوس به النفوس من هذا وتميل اليه الخواطر الردية (١) هلك من هلك • وانما جعل الله عز وجل الحق والحرمة وأوجب الذمام على جميع الأمة لأولياء الله الذين تعبد العباد بطاعتهم • وجعل الحق والواجب لهم وأثاب عباده على القيام بذلك وعاقبهم على تركه فمن أحسن في أمرهم فلنفسه أحسن وبما أوجب الله عليه وافترضه قام وثواب ربه على ذلك يرجوه ، فينبغي لمن وفق لذلك حمد الله عليه

(١) بنسخة (م) الروادئة •

والاعتراف بالعجز والتقصير • وان بالغ في الاجتهاد فيه فان حق الله وحق أوليائه لا تدرك غايتـــه • ولا تنتهي نهايته ، وحسب المجتهد فيه بلوغ مجهوده واستفراغ طاقته ولو بذل المؤمن في طاعة أولياء الله وخدمتهم والسعي لهم منتهى جهده ووســـع طاقته عمر الدنيا كله لم يف بواجبهم ولم ينتــه كنه حقهم وانما يبلغ العباد رضاهم بفضلهم عليهم وتطولهم برضاء عنهم ويقبلون ما يقبلونه مـــن أعمالهم لعلمهم باخلاص النيات وبذل المجهود لهم لا ان ذلك منتهى حقوقهم ونهاية واجبهم وكل من قربت منهم عند نفسه وسيلته ومست رحمته ودنت فيما يرى ذريعته فهو في الواجـــب في ذلك عليــه والبعيد الذي لا سبب له بمنزلة واحدة لأن فرض الله على عباده واحد لا فضل فيه لقريب على بعيد ولا لفاضل على مفضـــول وأقرب النــاس الى الله واليهم صلوات الله عليهم من قربته أعماله الصالحة منهم فافهموا رحمكم الله هذا الباب وتدبروه ، وخذوا أنفسكم بما فيه وبكل أدب صالح تسمعونه ، وفقنا الله واياكم الى ما يرضيه •

(٣)

ذكر نهي أتباع الأئمة عن الحسد والبغي والشره والحقد وسوء الظن

أما البغي فقد تكفل الله بالنصر على أهله ، ومن نصر الله تعالى عليه فهو لا محالة مغلوب في العاجلة وفي منتهى الاجل منكوب . قال الله تعالى : « ومن بغى عليه لينصرنه الله » فاياكم والتهاون بوعيد الله والاستخفاف به بأن لا تروه نزل عاجلا لمن تواعده الله به ، فانما يعجل من يخاف الفوت ، ويخشى أن يسبقه الى من يريده الموت ، ومن أمهله الله عز وجل وأملى له في دنياه أخذه بالوعيد ان شاء بعد أمد أو في أخراه (١) ، وعذاب الله أشق وأشد كما قال الله تعالى وأبقى ، وقد جاء أن رجلا

---

(١) بنسخة (هـ) خاويته .

قال للصادق جعفر بن محمد (صلع) : يابن رسول الله صلع ما معنى قول الله تعالى : « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وقد نرى كثيرا ممن يعمل بالربا يربو ماله ولا تمحق ، فقال صلع له : وأي محق يكون أمحق من مال ربا ان تاب منه صاحبه رده وأخرجه من يده فتمحق ، وان لم يتب منه أدخله النار فأمحقه ٠

فكذلك وعيد الله عز وجل للباغي بالنصر عليه ان عجل الله ذلك له غلب لأن الله عز وجل يقول « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » ، وقد وعد بالنصر من بغى عليه ، وان أخر النصر والانتقام الى الآخرة فعذاب الآخرة أشد كما ذكر . والمنصور فيها من نصر ونصر الله عز وجل قد يكون عاجلا أو آجلا لأنه لم يأت الوعد به مؤقتا ، وهو جل ثناؤه لا يخاف فوت من أراده ، ولا يعجزه من قصده ٠ فالحذر الحذر من البغي وأعظم البغي ذنبا ، وأشده عقوبة ما كان على الأئمة صلع فمن بغى عليهم وشاقهم فقد شاق الله ورسوله لأن البغي عصيان ، وقد قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، ومن عصيهم فقد عصى الله ورسوله ، ثم آشد البغي بعد ذلك على أوليائهم المؤمنين ٠ وان

كان البغي كله منهيا عليه لخوف وعيد الله فيه وقد قال رسول الله (صلع) : « لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكا » • فهذا من قول الله تعالى : « ومن بغى عليه لينصرنه الله » • وقد امر الله عز وجل بجهاد من بغى على الأئمة وعلى المؤمنين في كتابه اذا نصبوا لهم ، والبغي يكـون بالمناصبة والمحاربة والسعي والأذى ، وانما يلزم اسم البغي من ظلم والسعي بالباطل والكذب ، وأما المحق وقائل الصدق ومن كان من أهل العدل فليس ينسبون الى البغي ولا يدخلون في جملة أهله (١) •

ومن عظيم البغي وكبيره ما بغى به البراءة عند الأئمة وقذفوا به مما لم يفعلوه ، ونسب اليهم من المكروه مما لم يأتوه ، ووصفوا بما ليس هم عليه ، ان في ذلك ذنب البغي وذنب الجرأة على الأئمـة بقول الباطل عندهم ورفع الشبهات اليهم • وكذلك الحسد أعظمه وزرا وأغلظه ذنبا ما حسد به الأئمة صلوات الله عليهم • قال الله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينـا ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما »

---

(١) بنسخة (هـ) اهلته •

وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : « نحن الناس المحسودون الذين عنى الله بهذا ، حسدنا على ما آتانا الله من الامامة وهي الملك العظيم الذي ذكر الله عز وجل » • وقال عليه السلام : الحسد رأس كل خطية ، وهو أول ذنب كان في السماء وأول ذنب كان في الارض وأول ذنب كان في الانس وأول ذنب كان في الجن وذلك أن ابليس حسد آدم فكان ذلك سبب معصيته ، وحسد أحد ابني آدم أخاه لما تقبل قربانه دونه فقتله ، وقال في قول الله عز وجل حكاية عن أهل النار : « ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (١) » قال أرادوا ابليس وقابيل لأنهما أول من سن المعصية وركب الخطيئة من الجن والانس فكان سبب ذلك الحسد • وكذلك من أنكر نبوة الانبياء وامامة الأئمة ونصب لهم ، وتغلب دونهم فانما سبب ذلك أنه حسدهم على ما أعطاهم الله ، وأحب أن يكون ذلك له دونهم ، وكذلك يجري هذا المجرى من نافس غيره في حظه فسعى في ازالته عنه ، ومن سرق مال أحد وأفسد

(١) سورة فصلت ٤١/٢٩ •

أهله أو ما يجري هذا المجرى من الذنوب فانما أصل ذلك أنه حسده فيما أتاه الله وأراد أن يكون له دونه (١) ، وذلك قول الصادق جعفر بن محمد صلع « الحسد رأس كل خطية » وذلك مع ما في الحسد من الغم والكمد ، ولذلك قال بعضهم : ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد ٠

وكذلك من كبائر الحسد حسد من حسد أحدا فضلا من فضل الأئمة عليه ، لأنه يدخل في ذلك مع ذنب الحسد ذنب الانكار على الأئمة فعلهم ، لأن ذلك الحاسد يرى أن الذين أنعموا عليه ليس بأهل النعمة ، وأن فعلهم ذلك به غير صواب ، فهذا ذنب عظيم أيضا مع ذنب الحسد ٠ وكذلك الشره وهو مكروه ومنهى عنه ، وهو في الحرام أغلظ اثما وأكثر وزرا وهو في أموال الأئمة صلوات الله عليهم أشد تغليظا واثما على ما قدمنا ذكره في خيانتهم والتعدي عليهم ، وان اثم ذلك يفوق على الآثام وذنبه يجاوز الذنوب ، وكذلك سوء الظن مكروه ومنهى عليه ، وأعظمه سوء الظن بالله جل ذكره وقال تباركت أسماؤه « الظانين بالله ظن السوء

---

(١) بنسخة (م) بعده ٠

عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » ثم يتلو ذلك في التغليظ سوء الظن بأنبياء الله وأوليائه الذين قرن طاعتهم بطاعته ، ثم بالمؤمنين من أوليائهم • قال الصادق جعفر بن محمد (صلع) : حرم الله دم المؤمن وعرضه وماله وسوء الظن به • وكذلك الحقد منهى (١) عنه ومذموم فعله بين المؤمنين ، فان تعدى ذلك الى الأئمة كان حوبا عظيما ، واثما كبيرا يخرجه من حد الايمان ويوجب النفاق •

فالحذر الحذر عباد الله من هذه الخصال المذمومة والافعال الردية وارتكابكم اياها بقول أو عمل أو نية ، أو تنظروا اليها والى أهلها بعيون الاعجاب ، أو تصغوا اليهم بآذان الاقبال ، فان الله عز وجل يقول : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » فأخلصوا لله ولرسوله ولأوليائه أعمالكم ، واصفوا لهم ولجميع المؤمنين ضمائركم ، واجعلوا عليكم في ذلك رقيبا من أنفسكم في علانيتكم وسرائركم ومشاهدكم وخلواتكم ، فقد قيل ان كمال

---

(١) بنسخة (هـ) منتهي •

الدين والآداب والمروة (١) استحيــاء المؤمن من نفسه • وهذا اذا وجه على وجهه كان ذلك لأنه اذا استحيا من نفسه كما يستحي من الناس لم يأت محرما ولا عيبا ولا مكروها يستحي من الناس فيه أن يأتيه عن علمهم ومشهدهم ، ومن لم يستحي من نفسه واستحى من الناس فقد هانت نفسه عليه فهو على الله وعلى عباده أهون •

فحاسبوا أيها المؤمنون أنفسكم هذه المحاسبــة وانتقدوا عليها هذا الانتقاد ، وانظروا في عيوبها بمثل هذا النظر فانه من لم ينظر في عيب نفسه نظر الناس في عيوبه • وفقنا الله واياكم لما يرضيه ويحظى به لديه •

---

(١) بنسخة (م) المروءة •

(٤)

ذكر الامر لأتباع الأئمة بالتواضع لله تعالى ولهم واطراح الكبر والأنفة واعطاء الحق الذي يلزمهم

التواضع لله ولأوليائه باب من أبواب العبادة ، والكبر والأنفة في ذلك وغيره ـ الا عن المكروه ـ من الدلائل على لؤم الطبائع وخساسة الانفس وقد جاء عن رسول الله (صلعم) أنه قال : من تواضع لله رفعه الله • وقال : ما من عبد ـ أو قال آدمي ـ الا ورأسه بيد ملك ، فان تواضع لله رفعه وقال ارتفع رفعك الله ، وان تكبر خفضه وقال انخفض خفضك الله • والزهو والكبر والاعجاب بالأنفس والاعمال من خطوات الشيطان ، وذلك مكروه قبيح فعله واستعماله مع سائر الناس ، وهو مع الأئمة أشد قبحا وأكثر نقيصة واثما ، وكيف يعجب معجب بعمل يعمله لأولياء الله ، أو بعناء أو بجهاد يكون

معهم في سبيل الله أو ما كان من مثل ذلك مما دخله من أجله الزهو والاعجاب بنفسه وبعمله ذلك الذي أعجب به وهو انما سعى في ذلك لنفسه وعمل لحظه وقدم لمعاده ، وان كان من فعل ذلك لوجه الله جل ذكره ، فلله ولأوليائه في ذلك المنة عليه ، وقال تعالى : « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين (١) » وان كان ما عمل من ذلك عن رزق أعطيه أو جراية أجريت عليه ، فانما هو بمنزلة الأجير فيه ان وفى بأجرته فقد قضى ما عليه ، وان زاد فثواب ذلك له وان نقص فاثمة عليه ، وان كان الذي فعله من ذلك تبرعا ليقرب حاله به ، ويذكر بما كان منه فيه فقد كان من ذلك ما كان ، وقد جاء عن رسول الله (صلعم) أنه قال : يأمر الله عز وجل برجال يوم القيامة الى النار (٢) ، فيقول قوم منهم ربنا اننا كنا ممن يجاهد في سبيلك ، ويقول آخرون : ربنا انا كنا ممن يدمن حج بيتك ، ويقول آخرون ربنا انا كنا ممن ينفق ويصلي ويتصدق لوجهك ، فيقول الله

---

(١) الحجرات ١٧/٤٩ .
(٢) بنسخة (م) جهنم .

عز وجل : كذبتم انما فعلتم ذلك ليقال ما أشجع فلانا ، وما أكثر حج فلان ، وما أسمح فلانا ، فقد قيل ذلك ، اذهبوا بهم الى النار ، ثم يقول عز وجل : اني خير شريك فمن أشرك معي في عمل يعمله غيري أسلمته لمن أشركه فيه معي ·

ففي أي حال كان هذا المعجب من هذه الاحوال فقد هلك باعجابه اذ لم يعرف قدر نفسه ، ولذلك قيل ما هلك امرؤ عرف قدره · فأما من أنف من اتباع الأئمة صلوات الله عليهم عن الانصاف في الخصام ، ومساواة من خاصمه عند القضاة والحكام، وفي السلم من عدو أو ولي أو ذمي يرى أنه له فضل في ذلك عليه وأن قربه من أولياء الله يوجب له مالا يجب مثله عليه فتكبر لذلك وذهب بنفسه وعند عن الحق واستطال على خصمه فانه لم يعرف فضل نعمة الله في قرب أوليائه عليه ، ولا ما أوجب الله من الحق فيه اذ ظن أن ذلك يوجب الحيف له ، والميل اليه ولو عرف نفسه ، وعلم أن قربه من أولياء الله لو لم يكن له لكان عند خصمه أهون منه عنده فوجب أن يساويه ولا يستطيل بسلطان أولياء الله عليه ، وهم أهل العدل بين عباد الله والتسوية في حقه بين خلقه ، كما أمرهم بذلك جل ثناؤه ،

ولا ينسب الحيف عند الجهال بهم اليهم ، ويقيم لهم الحجة بذلك عندهم عليهم ، ويوهمهم أن ذلك من أمرهم ورأيهم ، وقد برأ الله الأئمة من الجور (١) ونزههم عن الظلم ففاعل هذا في الاثم كالناصب لهم والباغي عليهم ، اذ كان قد تعدى أمرهم وعدل عن حكمهم واستعمل سلطانهم في خلاف ما أمروه به ، وسلك به غير السبيل الذي به سلكوه ، فعليكم عباد الله بالتواضع لله ولأوليائه واطراح الكبر والأنفة في حقوقه ، والمساواة في ذلك لمن نازعكم والعدل فيما بينكم وبين من طلبتم بحق أو طالبكم فان ذلك مما يرفع من أقدركم ، ويعظم ثوابكم به عند ربكم ، ويحسن فيه ثناء الناس عليكم ، ويشكرون له سير أئمتكم ويعلمون أن ذلك عن أمرهم اياكم ، ومن عدلهم فيما بينهم وبينكم ومتى لم تفعلوا ذلك كنتم على ضد هذه الاحوال ، وبؤتم بالاثم وتعديتم في الافعال ، أعاذنا الله واياكم مما يوجب سخطه ، ووفقنا الله معا لما يزكو لديه وعنده ٠

---

(١) بنسخة (هـ) الظلم ٠

(٥)

ذكر الامر لأتباع الأئمة بالحلم والعفو والوقار والسكينة

الحلم والسكينة والوقار والعفو سيماء المؤمنين الابرار ، وقد وصف الله عز وجل نبيه بالحلم في كتابه فقال : ان ابراهيم لحليم أواه منيب • فأثنى عليه وقال لنبيه محمد (صلع) : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم (١) » وقال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (٢) » وقال : « لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة

(١) الاعراف ١٩٩/٧ – ٢٠٠ •
(٢) الفتح ٤/٤٨ •

وأصيلا (١)» وقال تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢) » وقال في المؤمنين : « رحماء بينهم » •

فينبغي لأتباع الأئمة أوليـاء الله أن يتأدبوا بآداب الله وأن يكونوا كما وصفهم الله في كتابـه حلماء رحماء أهـل سكينـة ووقـار في العلانيـة والأسرار • فذلك شرف وزين لهم في العاجـل ، وذخر وثواب في الآجل ، وأوجب ما تزينوا بذلك واستعملوه واعتقدوه وأخلصوا فيه لأئمتهم وولاة أمرهم ، الذين تضاعف لهم الحسنات فيما أتوه من الخير عندهم كما تضاعف العذاب لمن أتى بالمنكر اليهم على ما قدمنـا ذكره في غير بـاب من هـذا الكتاب • فأحق ما رغب فيه الراغبون وأوجب ما سعى له الطالبون ما ضوعف أجره للعاملين وحسن به الذكر وطاب به الخير في الغابرين ، وكانت به النجاة والفوز في يوم الدين ، وأحق ما اجتنبه من نظر لنفسه ، وعرف حق أئمته وسعى لآخرتـه أضداد هذه الخصال في النيات والمقال والاعمال من

---

(١) الفتح ٩/٤٨ •
(٢) النور ٢٢/٢٤ •

السفه الذي هو ضد الحلم ، والبطش بالعقوبة فيما
العفو فيه أجمل والحلم عنه أفضل ، والقسوة التي
هي ضد الرحمة فيما يبتغي الرحمة فيه ولمن لا تجب
القسوة عليه والبطش والنزق اللذين هما ضد
الوقار والسكينة ، واجتناب هذه الاخلاق الدنية ،
والأفعال المذمومة في جميع الخلق فيه فضل وبر ،
وارتكابها فيه اثم وعار وشين ونقص ، وذلك فيما
يكون من أمور الأئمة وأوليائهم أعظم ثوبا وأغلظ
اثما .

(٦)

ذكر ما ينبغي لأتباع الأئمة فيما بينهم من التعاطف والتواصل والتوادد والتباذل

التواصل والمودة والتباذل بين الاخوان في ذات الله عمل عظيم ، ثوابه جزيـل أجره في الآجله ، ويكسب أهله حسن الذكر والثناء وطيب الخير في العاجلة (١) ، وقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال : ينادي منادي يوم القيامة أين أهل الصبر ؟ فيقوم طائفة من النـاس فيأمر بهم الى الجنـة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : ما صبركم هذا الذي أوجب لكم الجنة ؟ فيقولون : كنا نصبر أنفسنا على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله • فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملـين ثم ينادي

(١) بنسخة (هـ) العاجل •

منادي أين أهل المعروف ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم الى الجنة فتستقبلهم الملائكة فيقولون : ما هذا المعروف الذي أوجب لكم الجنة فيقولون كنا نعفو عمن ظلمنا ونصل من قطعنا ونعطي من حرمنا . فيقولون لهم : ادخلوا الحنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادي منادي : أين جيران الله في دار السلام (١) ؟ فيقوم طائفة من الناس فيأمر بهم الى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : ما فضلكم هذا الذي جاورتم الله به في دار السلام ؟ فيقولون : كنا نتحاب في الله ونتواصل في الله ونتباذل في الله . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين .

فهذا الثواب الذي لا ثواب كمثله ، وكذلك قليل من يفعل مثل هذا يحب أخاه لا يحبه الا لله ، ويواصله لا يواصله الا لله ، ويبذل ماله لا يبذله الا لله ، وهؤلاء من الذين قال الله عز وجل : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » وما أكثر ما يتحاب الناس ويتواصلون ويتباذلون الا تصنعا ومكافاة بينهم ورياء وسمعة ، وأفضل ذلك ما يشوبه شيء من طلب ثواب الله ، فأما أن يكون

---

(١) بنسخة (م) العجلات .

ذلك محضا يراد به وجه الله لا غيره فأهل ذلك قليل كما قال جل ثناؤه ، وينبغي لمن نافس في الفضائل أن يخلص هذا اذا كان همه وعمله كله لله وينويه لوجهه ويخلصه لطلب ثوابه ، ويجعل أفضل ذلك في اعتقاده ونيته وطويته فيما يكون للأئمة صلوات الله عليهم ، اذ كانت الحسنات تضاعف في ذلك ، واذا أوجب الله تعالى جواره في دار السلام (١) لمن أحب مؤمنا ووصله ، ففاعل ذلك للامام أحرى أن يكون ثوابه أكبر وأجره على الله أعظم أضعافا مضاعفة اذا نوى ذلك ـ كما ذكرنا ـ واعتقده لوجهه وأخلص نيته فيه ، وما أيسر أمر الاعتقاد لمن وفقه الله للرشاد مثل أن يجعل من مشى الى قصر الامام مرتبا كان في ذلك أو متعاهدا ان ذلك السعي وصلة لامامه وزيارة يريد بها وجه الله وثوابه لا ينوي بذلك غيره ، وان كانت له مع ذلك حاجة هناك لم يضره ذلك مع جميل اعتقاده ، كما لم يجعل الله جناحا على من ابتغى الفضل من حجيج بيته القاصدين اليه لابتغاء ثوابه وكذلك يجعل ما يصلهم به ويدفعه من الواجب عليه في أمواله ، وما

---

(١) في صفحة (هـ) الآخرة .

تطوع به لله ولوجهه لا يريد رياء ولا سمعة ولا يجعله لأمر يرى أنه ان لم يفعله نقص عندهم ، وأخل ذلك به لديهم ، وان أحبهم لأمر ما كان ذلك الحب له جعله لله جل ذكره وابتغاء ما عنده ، وكذلك يجعل جميع أفعاله لهم من جهاد أو خدمة أو نصيحة أو قول أو فعل ينوي به وجه الله لا يشوبه بغيره ، ولقد أفادني بعض من لا اعتقد مذهبه ولا أرضى قوله وحكمه ، وأنا حديث السن يومئذ وهو شيخ ونظر الي أجمع الكتب وأكتبها وأشتغل بها فقال لي : يا بني اني أفيدك فائدة • قلت هات • قال : ان الاشتغال بهذه الكتب يحول دون كثير من أعمال البر وهي شهوة لا يقدر من علق بها على تركها لغيرها ، فاجعل نيتك ان عملك فيها واشتغالك بها لله وطلب ثوابه يكون ذلك لك عمل بر • ففتح لي من هذا وجها ان لم يكن على الجملة كما قال فانه يوجب أن يكون كما قال فيما وافق الحق لأنه ليس من كتب ونظر واشتغل بعلم باطل ينوي به ما عند الله ، وأن الله يقبل ذلك ويثيبه عليه بل يعذبه على الباطل ويؤثمه في اشتغاله به ، ولكن من فعل برا وخيرا فنوى به ثواب الله وقصد به وجه الله أثابه الله عليه ،

وان عمل ذلك رياء وسمعة لم يقبل منه ، وكان لما عمله له كما قال رسول الله (صلع) : انما الاعمال بالنيات انما لكل امرىء ما نوى • فمن هاجر الى الله والى رسوله فهجرته الى الله ورسوله فمن هاجر (١) لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » فانما أراد (صلع) بالأعمال ههنا أعمال البر اذا كانت صحبتها النية الصالحة فأما من عمل سوء وأراد به الخير لم يقبل منه بل يعاقب عليه •

وقد قال رسول الله (صلع) : « نية المؤمن خير من عمله » • وتفسير ذلك والله ورسوله أعلم أن العمل بلا نية غير مقبول ، ولو أن رجلا أمسك عن الطعام يوما كله ولم ينو بذلك الامساك الصوم لم يكن صائما ، ولو خرج الى مكة وقت الحج وشهد المناسك كلها ولم ينو الحج لم يكن حاجا ، ولو قام وركع وسجد ولم ينو الصلاة لم يكن مصليا ،وكذلك كل عمل ، فالعمل بغير نية لا ينفع ولا يقبل وانما يكون عملا اذا كانت معه النية ، والنية وحدها تنفع بلا عمل •

---

(١) بنسخة (ه) هجر •

قال رسول الله (صلع) : « من نوى أن يعمل حسنة كتبت له فان عملها كتبت له عشر حسنات » فلذلك والله أعلم كانت نية المؤمن أفضل من عمله لأنها تنفع دون العمل ، والعمل لا ينفع بغير نية ، ولذلك قال قائل لبعض الأئمة فيما أحسب : أمن العدل أن يعصي الله عاصي أو يذنب اليه مذنب مدة قليلة في دنياه فيعاقبه في الآخرة عقوبة الابد ، قال : نعم لأنه كان ينوي أنه لو عمر الابد لكان على تلك المعصية اذا مات مصرا عليها غير تائب عنها ٠

وهذا باب من العقوبة بالنية السوء ٠ كما أن الثواب بالنية الصالحة ٠ وقد قال الله تعالى : « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (١) » فالظن توهم بالقلب ونية واعتقاد لذلك الظن وقال عز وجل : « وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (٢) » فأعاب ذلك الظن عليهم ٠ فينبغي على هذا أن لا

---

(١) الفتح ٦/٤٨ ٠

(٢) الاحزاب ٣٣/١٠-١١ ٠

يعتقد المرء ولا يظن ولا ينوي الا خيرا فيما يكون من أمر الله ولأمر أوليائه وأمور المؤمنين من عباده ، وأن ينوي كل عمل يعمله من أعمال الخـير لله ولوجهه ، فعليكم أيها المؤمنون بهذا الأدب الصالح فاستعملوه ، واخلصوا المودة لأئمتكم واخوانكـم من أوليائه وتحابوا وتواصلوا على ولايتهم ومودتهم واحذروا التدابر والتقاطع والتباغض لأوليائكـم واخوانكم والبخل فيما أوجب الله عليكم في أموالكم، وفقنا الله واياكم للخير وأعاننا ولكم (١) عليه وفتح لنا في عمله وهدانا اليه ولكم » .

---

(٣) بنسخة (م) نبيـه ،

(٧)

ذكر ما ينبغي لمن يراه الأئمة صلوات الله عليهم من أتباعهم من التجمل واظهار النعمة بين أيديهم

قد أوجب الله في كتابه وعلى لسان رسوله (صلع) اظهار نعمته سيما في المواضع التي يتقرب بشهودها اليه فقال جل ثناؤه : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (١) » • وقال رسول الله صلوات الله عليه : من أنعم الله عليه بنعمة فلير أثرها عليه • وجاء في اللباس والتنظف والتعطر للمشاهد التي تشهد لابتغاء ثواب الله فيها أخبار يطول ذكرها ، ومشاهد الأئمة صلوات الله عليهم ومجالسهم فينبغي لمن أراد شهودها أن ينظف شعره وأطرافه ويلبس أفضل ما عنده من لباسه ،ويتطيب

---

(١) الاعراف ٣١/٧ •

بأحسن طيب يجده ، ويظهر نعمة الله عليه ونعمة أوليائه لديه وعنده سيما ان كانت منهم وعلى أيديهم فحقهم التجمل بها في مجالسهم ومقاماتهم ومحافلهم ومسايراتهم ، وذلك من تعظيمهم واجلال أمورهم كما أوجب الله على من قام الى الصلاة أن يتوضأ لها ويأخذ زينته لها ، لأنه يأتي بيته ويقوم بين يديه تعالى ، وكذلك ينبغي لمن أتى أولياء الله متقربا بهم اليه لأنه في اطراح ذلك والتهاون به وحضوره بلا استعداد لهم ولا تأهب للقائهم تهاون بأمورهم ، ومن تهاون بشيء من أمور أوليائه فقد تعرض لمقت الله وعقوبته ، ولما في التنظف من السنة ولأن النظافة من الفطرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : ان الله يحب النظافة ويبغض العبد القاذورة فينبغي استعمال ما أحبه الله تعالى وترك ما كرهه (١) على كل الاحوال ، وآكد ذلك وأوجبه وأحسنه وأفضله وأجمله ما أستعمل لاجلال أولياء الله الذين يتقرب بهم اليه ويرجا شفاعتهم لديه .

---

(١) بنسخة (هـ) ما بغضه .

(٨)

ذكر الآداب في السلام على الأئمة صلوات الله عليهم والكلام بين أيديهم

تعظيم الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيم الله عز وجل ، انه ان ما يراد من تعظيمهم طاعته ويبتغي فيه مرضاته لا شريك له ، وقد رأينا أوصياءهم وولاة عهودهم يتبلون الارض في سلامهم عليهم بين أيديهم اجلالا لهم وعلما بقدرهم ومعرفة بما أوجب الله لهم ، فأتباعهم أحق من اقتدى في ذلك بهم ويتقرب الى الله بتعظيم أوليائه غير مستنكفين ولا مستكبرين عنه ، والرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه أولياءه عن افترائهم عليهم ، وللسجود حقيقة هي غير تقبيل الارض عند كل من نظر هم شيء من العلم من مؤالف أو مخالف ، لا يرون من قبل الارض في

صلواته ساجدا حتى يأتي بحقيقة السجود على جبهته وأنفه وينويه نية سجوده على أنه لو سجد ساجد لولي من أولياء الله اعظاما لله لم يكن ذلك بمنكر ، فقد ذكر الله عن أبوي يوسف واخوته أنهم خروا له سجدا فلم يعب ذلك من فعلهم ، وأعاب الذين يسجدون للشمس من دون الله وقال : لا تسجدوا (١) الا لله ·

فانما نهى عز وجل عن السجود لأحد من دونه يتخذه الها معبودا ، فأما السجود تعظيما له فهم ينه عنه ، فالذي نهى عنه رسول الله (صلع) من السجود اليه من اقتدى في ذلك بما رآه من الحبشة الذين يسجدون لملوكهم فأولئك انما سجدوا لهم من دون الله لأنهم مجوس لا يعرفون الله تعالى ، فنهى النبي (صلع) عن الاقتداء بهم · على انا لم نقل انا نسجد للأئمة ولا أنهم أمروا صلوات الله عليهم بالسجود لهم ، وانما هو تقبيل الارض التي يطأونها اعظاما لهم عن تقبيل أيديهم ، وفي هذا احتجاج يطول ذكره ، وفيما ذكرناه منه كفاية ، فينبغي لمن واجه الامام ع·م أن يبدأ بالسلام عليه ، ثم يقبل الارض بين يديه ، ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا

---

(١) بنسخة (م) يركعون ·

الى الله ع • ج به ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه لتقبيل الارض : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ويكون ذلك بحيث يراه الامام وان كان المسلم بحيث يسمع رد الامام عليه السلام لم ينحط (١) الى الارض لتقبيلها الا بعد فراغ رد الامام عليه السلام ، ثم اذا قبل الارض قام فان حضر لأمر يريد الكلام فيه مما يجب وينبغي لمثله أن يتكلم به ، وكان ممن ينبغي لمثله الكلام بين يدي الأئمة تكلم والا استأذن في الكلام ، فان أذن له الامام تكلم وان لم يأذن له انصرف ، فقد قال بعض الملوك لبعض من وفد عليه من الاشراف وقد قام بين يديه يريد الكلام : ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم •

هذا واجب لملوك الدنيا وواجب الأئمة فوق ذلك كما بينا في أول الكتاب ، وأحسن ما يفتح به الكلام من أراد الكلام بين يدي الأئمة اذا كان وافدا عليهم ، أو مريدا لكلام يطول ، أن يفتتح بحمد الله والصلاة على رسوله وعلى الأئمة ، فقد جاء في الاستفتاح بذلك أثر ، وان لم يمكن ذلك

---

(١) بنسخة (هـ) يهبط •

أو لم يحسنه المتكلم فليدع بما تهيأ من الدعاء الى
الامام ، ففي الدعاء ذكر الله ع•ج وهو يجزي في
الاستفتاح من الحمد ، ثم يتكلم بما أراد من الكلام،
ويستعمل من لفظه ما تعطيه قريحته وتنطاع له
طباعه وينطلق له به لسانه ، غير متكلف كلاما روي
فيه قبل ذلك وأحكمه وألفه وألف له وحفظه ، فانه
لا يأمن أن يحتاج الى كلام لم يتقدم فيه ، ويختصر
الكلام ما استطاع وأمكنه الاختصار في بيان ويجتنب
التطويل والاطناب والتشدق(١) والاسهاب فان ذلك
انما كان يحتمل من المطبوعين عليه في قديم الزمان
على استثقال لهم ، وقد جاء في الحديث أن رسول
الله (صلع) قال لبعض من أغرب عنده في كلامه
وتشدق فيه بين يديه : عليك بما يفهمه الخاص
والعام من الكلام ، فاني لو شئت قلت ما لا تعلمون،
بيد أني من قريش ، وربيت في هوازن وربتني
سبع عواتك ولكن لعن الله الثرثارين المتفيهقين ».
فخاض أهل اللغة في تخريج غريب هذا الكلام الذي
تكلم به رسول الله (صلع) فلم يتفقهوا عليه ،
وكان صلى الله عليه من أفصح العرب ومن عنصر

---

(١) بنسخة (هـ) والاشداق .

منابت اللسن ، ومن معدن الفصاحة ، وقد أعاب من جاء منها بما يغمض ويغرب ولا يكاد أن يفهمه الا الخاص ، فأما من تعاطى في كلامه غير ما جرت به عادته وأتى منه ما يدق وألفه أو تدبر وألف له ثم حفظه خليق أن يفتضح كما افتضح رجل مرة عند بعض من أدركناه من الامراء وقد كان قدم اليه بكتاب ومكرمة ممن استعمله بعد انقطاع ذلك عنه عدة طويلة ، لكون بعض من كان قام على وجيزا بليغا قد كان ألف وعمل له فحفظه ، فلما ذلك الذي استعمله ، فحال فيما بين هذا العامل وبينه ثم تلطف هذا الرسول وتلطف له في الوصول اليه ، فلما بلغه قدومه وأنه قرب منه تأهب له وأحضر مجلسه وجوه رجاله وأظهر زيه وعدته ، وأذن للرسول فدخل اليه وسلم ، ثم افتتح كلاما فرغ منه تهيبه ذلك الامير ومن حضر مجلسه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال كيف خلفت أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والخاص والعام فيما قبله ؟ فلم يدر ما يقول غير ما جرت به عادته الخسيسة فقال له : بخير جعلك الله بخير ٠ فما تمالك ذلك الامير ومن حوله عن الضحك ثم خاطبه فجاء بمثل هذا من الكلام ، واقتحمته العيون

وازدراه من سمعه ممن حضر ٠

فينبغي لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم أو تكلم بين أيديهم ألا يتكلف كلاما لم تجر به عادته ، وكذلك لا ينبغي للعاقل (١) أن يستعمل مثل ذلك في شيء من كلامه ومخاطباته ، فان أقل ما يخاف من ذلك ما ذكرناه من هذا الجاهل المتعاطي ، مع ما ينبغي لمن خاطب الأئمة صلوات الله عليهم من تعظيمهم واجلالهم ومقاماتهم عن الانبساط فيها والتعمق فيها والتنطع والتشدق في الكلام بها واستشعار الهيبة لهم ، والحصر في الكلام عندهم أزين من ذلك وأشبه بمن تكلم لديهم ، ولا بأس بذلك من كان في شعر أو خبر يحكى فيه كلام متقدم بلفظه اذا كان الامام قد أذن للمنشد والمتكلم في ذلك ، فانه لا ينبغي أن يحيله ولا يلحنه ٠ وكذلك ان قرأ كتابا بين يديه أو كتب به اليه فان الاغراب في ذلك ٠ والبلاغة ما لم تخرج من المعروف الى وحشي الكلام وغريب الالفاظ أحسن ، فان كان في الكتاب من الغريب ما يستعمل كثيرا ويعرف فلا بأس به ، وقصد المعروف من كلام العرب غير

---

(١) بنسخة (هـ) للغافل ٠

المجهول في لغتها المدخول من كلام العامة والعجم أجود ، وما كانٍ متوسطا من ذلك فهو أحسن ، فقد سأل بعض الأئمة عليهم السلام رجلا كان قلده أمر البحر يوما وقد دخل اليه ، عن الريح ما هي ؟ فكان يذهب الى البلاغة ويستعمل الفصاحة فقال : نكباء بين الشمال والدبور ، ثم دخل أخ له كان ينظر أيضا في البحر ولم يكن يتكلف ما كان يتكلف أخوه ولا يشتغل بما كان يشتغل به من علم العربيــة ، فقال له الامام عليه السلام : ما الريح الآن ؟ قال : جرج • فتبسم الامام وقال : ما أبعد بينك وبين أخيك ولو توسطتما بين هذين الكلامين بكلام بين لكان حسنا •

فأما من تعاطى ذكر الغريب في الكتــب وكثرة استعماله فيها فغير حسن ، وقد كان بعض الامراء استعمل ذا قرابة له على بعض أعماله ، وكان في الرجل الذي استعمله حمق وجهل ورقاعة (١) ، فاستكتب كاتبا يشبهه في الرقاعة وحضر وقت يهدى فيه عمال ذلك الامير اليه وأهدى هدية وقال لكاتبه: اكتب كتابا بليغا بذكر الهدية ونعتها • فجعــل

(١) بنسخة (م) ورقة •

الكاتب يكتب في ذكر ذلك بغريب الكلام ويسميه له ويشرحه ، فكان فيما كتب به وبعثت الى الأمير بجرة ـ والجرة القلة ـ وفيها كماة ـ والكماة الترقاس • فلما قرأ ذلك الأمير كتابه استضحك منه وعزله ، وبعث عاملا مكانه وكتب اليه في كتاب تسليمه « وصلت الينا هديتك وكتابك وفيه من الغريب ما يحتاج الى شرحه عنك شفاها ، وقد بعثنا بفلان مكانك عاملا الى أن تشرح لنا هذا الكتاب ونفيد عنك ما فيه ان شاء الله تعالى » وهذا وان كان من التجاوز في الرقاعة فان في ذكره ما يزع من القليل منها •

وكذلك أنشد بعض الشعراء بعض الملوك شعرا مدحه به وأعجبه فاستعاده انشاده وكان غريبه كثيرا ، فظن ذلك الشاعر أن ذلك الملك لم يعرف ذلك الغريب فقال له : نشرح لك غريبه أيدك الله عز وجل ؟ فغضب عليه وحرمه وأخرجه من بين يديه • فمثل هذه الأشياء ينبغي انتقادها (١) ، وأخذ من يخاطب الأئمة صلوات الله عليهم ويتكلم عندهم ويكاتبهم نفسه فيها بالآداب الصالحة لهم

---

(١) بنسخة (هـ) ايجازها •

والتقرب بتمظيمهم وتبجيلهم الى الله عز وجل واليهم بظهور التخلف واعتراض الحصر ، وتعرف الدهشة فيمن خاطبهم وقام بين أيديهم ، وتولى شيئا من أمورهم بحضرتهم أحمد من الاقدام والجزالة والبراعة في ذلك عندهم ، ولقد كان بعض الاطباء يقصد بعض الأئمة عليهم السلام فكان يعتريه عند ذلك بعض الروعة اعظاما له ، وكان ذلك أخاف الامام ع٠م من خطأ يده فأحضر آخر يوما وقد احتاج الى الفصد ، وقد بلغه ما اعترى الآخر ، وأن ذلك كره منه ، فأخفى المبضع في يده، وأخذ يد الامام ليختبر العرق قبل أن يربطه ولا وضعت الطشت (١) بين يديه ، ففصده ، ولم يعلم ووضع اصبعه على العرق ، فدعا بالطشت ، وظن أنه أبدر في ذلك وجاء بما يستحب منه فأعظم الامام جرأته عليه واقدامه ، فكان ذلك سبب سقوطه (٢) عنده ، ورد الاول وأثنى خيرا عليه وبسطه الى أن زال عنه ما كان يعتريه لجلالته عنده ٠

---

(١) بنسخة (هـ) الصحن ٠
(٢) بنسخة (م) سقطته ٠

فعلى مثل هذا من التعظيم والاجلال يجب معاملة أولياء الله والتصرف في أمورهم ومخاطبتهم، واستقصاء ما يجب في ذلك يخرج عن حد هذا الكتاب • وفيما ذكرناه من ذلك ما يستدل به على غيره ، وينتفع به من وفق لفهمه ان شاء الله تعالى •

(١١)

ذكر القيام بين يدي الأئمة صلوات الله عليهم والجلوس في مجالسهم والحديث لديهم

القيام بين يدي الأئمة أولياء الله لمن عرف حقهم واعتقد امامتهم واعتقد قيامه ذلك تعظيما لهم واجلالا لمكانهم عبادة يتقرب بها الى الله الذي أوجب تعظيمهم واجلالهم ، كما كان القيام في الصلاة لله تعالى تعظيما له . قال جل ثناؤه : « وقوموا لله قانتين » فينبغي لمن قام ذلك القيام أن يجعله لله تعالى قربة يتقرب بها اليه وينوي ذلك ويعتقده بقلبه ويجل مقامهم في صدره ، ويرى أن ذلك القيام فيه حظ عظيم لنفسه اذ كان مما يتقرب به الى ربه ، ويرجو لديه ثوابه ، ولا يرى أن الجلوس لديهم أفضل من القيام بين أيديهم ، ولا أن ذلك أدنى اليهم ، ولا أن أحدا يستحقه عندهم ، فاذا عرف ذلك واعتقده وأضمره وقصده ثم أمروه

بالجلوس اكراما له أو لأمر ما رأوه فليجلس معترفا في ذلك بفضل نعمتهم عليه ، ويشكر على ذلك بما أمكنه ولا يتهاون ولا يستصغر بقدر النعمة والمنة فيه فانه قدر جليل الدرجة وفضل عظيم المنزلة ، ثم لا يعتقد ويرى أن ذلك قد صار له رسما جاريا لا يزول عنه ، ورتبة واجبة له ، وأنه ليس لأحد من عباد الله على أحد من أوليائه بحق ولا ان أنالوه معروفا صار له عليهم ضربة لازب ، وانما هم في الانعام على عباد الله كما قال جل ثناؤه : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (١) » فاذا أحبوا أنعموا وتطولوا ، واذا أمسكوا لم ينبغ أن يستعجزوا ولا يبخلوا . وكذلك ينبغي أن تراض (٢) النفوس لهم على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء ، وعند أحوال الشدة وفي حالات الرخاء ، فان صنعوا صنيع معروف الى واحد وجب شكرهم عليه ، ولم ينبغ أن يرى المصنوع ذلك به أنه جدير به ولا مستحق اياه ، ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك اليه ، فان عادوا به عليه ضاعف الشكر واعترف بالتقصير وعدم الاستحقاق ، واذا

---

(١) سورة ص ٣٨/٣٨ .

(٢) بنسخة (ه) ترضى .

لم تكن لهم عودة الى ذلك أدأب نفسه في شكر ما تقدم لهم عنده واعترف فيه بعجزه ، ورأى أنه لو زيد من ذلك لكان أثقل لحمله وأحرى أن لا يقوم بأعباء ما يجب فيه عليه .

فاذا قام القائم بين يدي الامام فليقم قائما معتدلا كقيامه في الصلاة وليرم ببصره الى الارض اجلالا وهيبة له ، ناظرا الى الامام من تحت طرفه ، ويخفض جناحه ، نظر من يرى أن نظره اليه عبادة ، فقد جاء ذلك في الحديث المأثور ، ولا يلتفت ببصره ولا يقلق في وقوفه ولا يعبث بيديه ، ولكن يوسلها ارسالا ، أو يضع يمينه على شماله تحت صدره ، ويلزم الصمت والوقار الى أن يسأله الامام ، أو يضطر الى الكلام ، أو يكون ممن يريد الامام كلامه ، أو في حال من يرفع الامور اليه ممن جعل ذلك له فيتكلم فيه ، أو فيما ينبغي له الكلام فيه ما استمع الامام منه ، فان أعرض عنه أو قطع كلامه لأمر عرض له أو لغير أمر ، فلينصت المتكلم حتى يأذن له الامام في الكلام بلفظ أو بايماء أو باستفهام ، فحينئذ يعود الى ما كان فيه ، والا سكت على ما قطع الكلام عليه ، ولا يرجع من غير اذن له فيه ، وليكن كلامه اذا خاطب الامام كلاما متخافتا

بلفظه بقدر ما يسمعه الامام ، ولا يرفع صوته عنده ، فقد نهى الله عز وجل عن رفع الاصوات فوق صوت نبيه والجهر بها لديه الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته ، وجعل تعظيمهم من التعظيم له ، فان خاطبه الامام أصغى الى لفظه ، وكذلك ان كان حديث الامام لجماعة من بحضرته (١) ، فينبغي لكل واحد منهم الانصات والاصغاء اليه ، وكذلك ان خاطب أحدهم خطابا علانية غير سر فينبغي لمن سمع خطابه الاصغاء اليه ، وطلب الفائد منه ، فان في كل لفظة يلفظ بها الامام حكمة لمن تدبرها ووفق لفهمها ومعرفتها ، ولا يرى من سمع كلام الامام أن لفظة من ألفاظه تخرج مخرج هزل أو تقع موقع عبث أو تجري لغير فائدة وان ظهر ذلك للسامع منه، فينبغي له أن لا ينزله بهذه المنازل ، وأن يعلم أن الله سبحانه قد برأهم صلوات الله عليهم من ذلك، وأن فهمه هو الذي قصر عن ادراك معرفة الفائدة من لفظه .

فأما رموزهم عليهم السلام وأمثالهم واشارتهم بمعاريض الكلام فبحور لا يخاض تيارها ، ولا يدرك قعرها ، ولا يفهمها عنهم الا من شرح الله عز

---

(١) بنسخة (م) بحضوره .

وجل صدره لمعرفتها وفهمها ، وهي أكثر من أن يحاط بها ، ولو أخذت في ذكر بعض ما تأدى الي منها لانقطع القول عما أردته ، وخرج الكتاب عن حد ما عليه بنيته ، فان جرى الحديث عند الامام بذكر من تقدمه من أوليائه أو أحد من ملوك الارض غيره فينبغي لمن حضر ذلك أن لا يذكر من حزمهم وحسن سيرهم وأخلاقهم وجزالتهم شيئا يرى هو أو غيره أن ذلك الامام قصر فيه أو أخله ، فان لكل زمان تدبيرا ، ولكل قوم سياسة ، والأئمة صلوات الله عليهم أعلم بمصالح الخلق ، وأبصر بواجب الحق ، ولكن يذكر ما كان يذكر من شرف آبائه وفضلهم ومناقبهم مما ينبغي أن يكون مدحا له ، ولا بأس بذكره ، وان سأل عن ذلك واستخبر من حضره عنه أدى المخبر اليه بحسبه غير مطر لذلك ولا معظم له ولا منتقص ، ولكن يذكر ذلك على جواب ما سئل عنه ، فان كان الامر في الوقت على خلافه قال : الامام أعلم بمصالح العباد ، وتدبير الأمور في كل عصر وزمان ٠ أو نحو هذا من الكلام مما لا ترى فيه أنه توهم على امامه تقصيرا عن ذلك أو تخلفا فيه ، ولا يقطع القول في ذلك بأنه ينبغي أن يكون ذلك في وقته أو لا ينبغي ،

ولا أن كان من ذلك كان يجب أو لا يجب ، ولكن حسبه اذا سأله الامام عن ذلك الجواب أجاب عنه على ما ذكرناه ، وان سأله غيره عن ذلك بحضرة الامام أمسك عن الجواب فيه وسكت عنه ، الا أن يأذن له الامام فيه ، أو يسأله عنه ، فان جرى في المجلس من الكلام (١) ما تبسم أو يفتر ضاحكا عنده الامام فانه لا ينبغي لأحد من جلسائه والقائمين بين يديه أن يضحكوا لذلك ، ولكن ينبغي لهم أن يطرقوا بأبصارهم مبتسمين (٢) ، ويظهروا الوقار والسكينة ، ويعظموا مجلس الامام من الضحك فيه ، فليس ذلك فيه الا له عليه السلام • وان خاطب أحدا منهم أو من غيرهم سرا ، فينبغي لمن قرب منه أن يباعد عنه ، ولجميعهم ألا يصغوا اليه ولا يلتفتوا نحوه ، حتى يقضي نجواه ، ولا ينبغي لهم أن يتناجوا في مجلسه ، ولا أن يتحدثوا بينهم حديثا دونه ، وينبغي أن يكون جميع ما يجري في مجلسه منه ومن جلسائه سرا لديهم وأمانة عندهم ، فقد جاء في الحديث : أن المجالس أمانات وان لم تؤتمن من فيها •

---

(١) بنسخة (م) الحديث •
(٢) بنسخة (هـ) ناظريه •

ولكن ينبغي أن يذكر ذلك وينشر ما كان فيه من حسن أحدوثة الامام يوصف بها ، أو مكرمة يجب نشرها ، ويذكر فخرها ، وان كان ذلك من المباح دون المحظور ، ومن الظاهر دون المستور ، وينبغي لمن شهد مجلس الامام أن لا ينازع ولا يمارى فيه ، ولا ينتصف ممن جنى بالقول عليه ، بل ينبغي له أن يتغمد الاساءة ، ويعرض عن قائل ان قال له سوءا وعرض بذلك له ، وان تهيأ الجواب له وحضرته الحجة عليه ، الا أن يأذن الامام له في الجواب ويطلق له المناظرة والخطاب ، وان كان ذلك اقتصر على الحجة ولفظ بالصواب غير طائش في المقال ولا متثبط في الجواب والسؤال ولا قائل هجرا ولا معرض له ولا منتصف من قائل ان قال ذلك له ، ويتقي التمطي والتثاؤب وتنقيض الأصابع وحركة الاطراف والجوارح ، وان عرض له سعال أو عطاس أخفى من ذلك ما استطاع كما يخفيه في الصلاة ، فان جاءته نخامة (١) أخفاها كذلك جهده وسترها ، وتناول ذلك في ثوبه من غير أن يظهر ذلك ولا يستدعيه ولا يفعله الا بعد أن يغلب عليه ولا يقدر على حبسه .

---

(١) بنسخة (هـ) نخمة .

وليكن جلوس من أمره الامام بالجلوس في مجلسه مستوفزا فيه غير متمكن في الجلوس ولا متربع ، ولا بأس أن يقيم رجلا ويضجع أخرى ، ويحتبي بيديه يمسكهما على ركبتيه أو على أحديهما ، ولا يقلق في جلوسه ولا يكثر الحركة فيه • وانما نهينا عن هذا وأشباهه مما ذكرناه لما في الانتهاء عنه من تعظيم مجلس الامام وتوقيره ، لا على أنه حرام فعله ولكنه مكروه وينبغي في الآداب ترك استعماله • ولا يرى من لم يؤذن له في الجلوس أنه قصر به ، ولا يحسد من أذن له فيه ، بل يغتبط بثواب قيامه بين يدي امامه ، ويعلم أن ذلك أعظم لثوابه عند ربه • وينبغي لمن تكلم عند الامام بكلام أن لا يطري فيه نفسه ، ولا يظهر الاعجاب بما فيه ولا ما كان منه ، وان استحسن الامام شيئا منه وأطراه فيه أو أثنى بخير عليه فينبغي أن يتعاظم ذلك ويكبره ويكثر الشكر عليه بما قدر على ذلك وأمكنه ويتواضع لذلك ويقلل نفسه ويضع ما رفعه الامام منه تواضعا لله وله ويشعر ذلك نفسه ، ولا يزهيه ولا يبطره اطراء الامام له ، ويرى ويعتقد أن ذلك القول فيه من فضله ونعمه عليه ، ولا على أنه استحق ذلك منه ، فقد ذكرنا في غير موضع من هذا

الكتاب أنه ليس لأحد على أولياء الله حق ولا ايجاب ، ويتقي الغيبة عنده وسوء القول في غيره وذكر معايب الناس له لينقصهم بها عنده ، فان للناس معايب وأولياء الله أحق من سترها ، وزلات وذنوبا هم أولى من اغتفرها وتغمدها ، ولولا ستر أولياء الله لبدت عورات عباده ، وقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال : « لو تكاشفتم ما تدافنتم » يعني (صلع) أنه لو كشف لبعضكم عن عيوب بعض ما استحسن من كشف له عن عيب صاحبه أن يحضر جنازته ، ولقوله (صلع) وعلى آله : ان لله على كل عبد مؤمن سبعين سترا فاذا أذنب ذنبا انتهك عنه ستر منها فاذا تاب منه واستغفر منه أعاد الله عز وجل عليه ذلك الستر ومعه سبعون سترا ، وان أبى الا قدما في المعاصي تهتكت أستاره ، وأمر الله عز وجل الملائكة فتستره بأجنحتها فان استغفر الله وتاب من ذنوبه أعاد الله عليه أستاره ومع كل ستر منها سبعين سترا ، وان أبى الا قدما في المعاصي (١) شكت الملائكة الى الله عز وجل ما تلقى منه ، فيأمر الله عز وجل الملائكة برفع أجنحتها عنه ، فلو عمل ذنبا في قعر

---

(١) بنسخة (م) المعصية .

البحر أو تخوم الارض لأبدأه الله عليه ، فلما كان الله تعالى لا يعجل على المذنبين من عباده فيكشف عيوبهم الى خلقه ويحب سترها عليهم كان كذلك أولياء الله يحبون ما أحبه ولذلك قال علي صلوات الله عليه : لو رأيت مؤمنا على فاحشة لسترته بثوبي • وقال علي بن الحسين عليه السلام : لم يعش مع الناس من عرفهم • وقال جعفر بن محمد صلى الله عليه وسلم : أجرأ الناس على ذكر معائب الناس هم أهل العيوب •

وكذلك لا ينبغي له أن يبدأ بمدح أحد لم يكن من الامام قول جميل فيه فانه لا يدري لعل الممدوح عنده على خلاف ذلك عند الامام ، ولكن ان ذكره الامام بخير وكان عنده علم منه بذلك وحسن ذكر ذكره بالخير الذي يعلمه منه ، وان ذكر الامام أحدا من غير أعدائه بسوء أمسك من سمع ذلك من القول فيه ، وعاذ بالله ورغب اليه من سخطه وسخط أوليائه ، فان الأئمة صلوات الله عليهم رحماء بعباد الله وقد لعل من يذكره أحدهم بالسوء يتعطف عليه بعد ذلك بالعفو والرحمة ، وقد لعل من يعين عليه يقع مثل ذلك له به فما يأمن على نفسه من السقطة من له فضل وعقل

وبصيرة وانما معول من يميز ويعقل على فضل أولياء الله وتفمدهم وسترهم ورحمتهم ٠

فاما سوء القول في العدو باللسان واعتقاد ذلك بالقلب فذلك هو الدين ولا تصح ولاية أولياء الله الا بعداوة أعدائهم ، وكما لا تنفع الولاية الا بالاعتقاد فكذلك لا تكون المداوة الا كذلك ، ولم يقل رسول الله (صلع) في علي عليه السلام : « اللهم وال من والاه » فقط ، ولكنه قال : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ٠ وقال الله عز وجل « هذا من شيعته (١) وهذا من عدوه » ٠ وان استفهم الامام أحدا عن حال من يستفهم عن حاله ، وساله عن علم ما يعلمه منه ، أو أمره بتقديم من يختاره فذكر من يعلم أو يتأدى اليه فيه قول لم يسمه الا ذكره للامام لأن هذا كالكشف والامتحان ولكن ينبغي للقائل في ذلك قول الحق وتحري الصدق ، فيمن كان القول وعمن كان السؤال من قريب أو بعيد أو ولي أو عدو ٠

وان ذكر الامام أحدا بخير وأثنى عليه بجميل شكر ذلك من يسمعه ويسأل الله أن يهب له ذلك

---

(١) بنسخة (م) اتباعه ٠

منه فان فضل أولياء الله على عباده ورحمته لخلقه ينبغي شكرها على كل من بلغته لأنها رحمة من الله لخلقه وكرامة وفضيلة لأوليائه ، ينبغي شكرها ونشرها عنهم اذ كان ذلك ـ كما قدمنا في غير موضع ـ لا يدرك منهم باستحقاق ولا ينال عنهم بواجب ، وانما هو تفضلهم ، فينبغي نشره وذكره وشكره لهم ، وان رفع الامام من قدر أحد وقربه وخصه وأدناه وألطفه ، لم ينبغ لمن يرى ذلك أو تأدى اليه أن يحسده عليه ، وقد ذكرنا ذم الحسد والنهي عنه في موضعه . فان كانت عادة الامام تقدمت بدليل منه على وقت القيام فرأى ذلك الدليل قام من بحضرته فقبلوا الارض مسلمين وانصرفوا من غير اذن ، وان لم يكن ذلك نظروا اليه فان سكت عن الحديث ، أو رأوا منه ما يدل على ارادة القيام نهضوا ، فان أمرهم بالجلوس جلسوا ، يفعلون ذلك حتى يمسك الامام عنهم فينصرفوا ، وينبغي لهم التخفيف وترك التثقيل على كل حال ، فان أحب الامام مقامهم فهو يأمرهم بذلك ومن أحب مقامه منهم ، فاذا انصرفوا من بين يديه فلا يولوه ظهورهم ، ولكن يمشون القهقرى أو العرضية لا يستدبرون حتى يغيبوا عنه .

(١٢)

ذكر الأدب في مساير الأئمة صلوات الله عليهم وما ينبغي أن يفعله من سايرهم

ينبغي لمن ساير الأئمة في سفر أو حضر ، أن يلزم الموضع الذي فيه رتبته ، فان كان فيمن رتب أن يسير بين يدي الامام سار كذلك ولزم ما أمر به ، وجعل همته وشغله التحفظ لمكان الامام من غير أن يكثر التلفت اليه ولا يثني عطفه نحوه ، ولكنه يتفقد ذلك باختلاس من نظره ، ومشى عرضية في خفية يرى منها الامام خلفه فيعرف أين هو منه ، ومكانه من القدر الذي رتب له أن يكون فيما بينه وبينه ، فان بعد عن حد ذلك وقف حتى ينتهي الامام الى الموضع (١) الذي يرى أن ما بينه وبينه هو القدر الذي رتب له وان رأى الامام قد قرب

---

(١) بنسخة (هـ) المكان .

منه [حرك] حتى يكون الحد الذي ينبغي له أن يكون فيه ، وان كان على قصد اعتدال فوقف الامام وقف حتى اذا سار سار بسيره ، لا يشغله عن محافظة ذلك شاغل ، ولا يتهاون به ولا يصرف همته عنه ، ولا يدع اشتغاله بشيء غيره من حديث ولا نظر الى ما يمر به ، ولا بغير ذلك على الوجوه والاسباب كلها ، وان كان ممن رسمه المشي بين يديه على القرب منه فينبغي له كذلك أن يلزم رتبته ويتحفظ على ما قدمنا ذكره ويلزم الوقار والسكينة وترك الحديث والكلام الا فيما سأله عنه الامام أو أمره به ؛ ويكون أهل هذه الطبقة من التحفظ والاصغاء الى الامام والنظر اليه بحال من ذكرناه أنه يقوم بين يديه ، فان دعا أحدا منهم سارع اليه ، وأقبل بوجهه عليه مطرقا ببصره الى الارض حتى يسمع ما يأمره وينفذه بحسبه ثم يعود الى مكانه ، ومن خصه الامام بمسايراته راكبا في موكبه والدنو من ركابه فينبغي له أن يعرف قدر هذه الرتبة ومكان هذه المنزلة ولا يرى نفسه أهلا لنظره اليه فضلا عن الدنو منه ومسايراته ، ثم يكون سيره خلف الامام فان استدعاه دنا قليلا يجاذبه غير مساويه في السير ولا مقارب له ومال

وتسقط الريح لعابها عليه ، ولكن يجعل الامام مما بوجهه وشقه الى الامام ، وأقبل بفهمه وسمعه عليه وأطرق ببصره اعظاما (١) له ، وفعل في مخاطبته ما قدمنا ذكره في المخاطبة في المجلس ولا يسايره من حيث تأخذ الريح عليه فتثير دابته الغبار اليه يلي الريح ويكون هو أسفل من ذلك ولا يدخل تحت ظله ولا يتقدمه ولا يساويه ويكون دونه شيئا ، ويلزم في حديثه واستماعه ما ذكرناه في مثل ذلك في المجلس ثم لا يرى أن هذه الرتبة تكون له ما عاش ، ولكن ينظر فان كان الامام قد تقدم اليه وأمره أن يسايره كلما ركب من دون أن يدعى الى ذلك امتثل أمره ، غير جاعل ذلك لنفسه حقا واجبا ولا أمرا لازما ، بل يعتقد أن ذلك من فضل الامام عليه ، فان أخره عن ذلك لم ينكر ما تقدم من فضله ، ولم ير تأخيره نقصا عليه ولا سوء من الامام أتاه اليه بل يذكر فضله أولا وآخرا ويعلم أن حال الامام في ذلك حال يقرب منه من أراده لارادته ويؤخر من شاء كرأيه ومشيئته لعلة في ذلك أو لغير علة ليس عليه في ذلك تعقيب لمن فعل ذلك

---

(١) بنسخة (م) تعظيما .

في انتقاد مذهب ، وان كان ممن دعاه الامام الى ذلك مرة أو مرارا أو مدة طويلة أو لم يامره بمسايرته متى ركب ، لم ياته الا أن يدعى به فاذا دعي لذلك أتى الى ما دعي اليه ، وان دعي لغيره أتى لما دعي له بحسب ما يجب أن يأتي اليه ، ثم انصرف غير جاعل في نفسه لمسايرة الامام همة يتعلق بها قلبه ، وأن يرى أنه قصر به رتبة كانت جعلت له فقد ذكرت في غير موضع من هذا الكتاب ان فضل أولياء الله لمن أفضلوا عليه وعطاءهم ممن أعطوه ليس عليهم فيه واجب ولا هو لمن أولوه ضربة لازب ، انما هو فضلهم يؤتونه من أحبوه ويحبسونه اذا أرادوا ، ومن كانت رتبته المشي وراء الامام في موكب العامة مشى فيه على رتبته غير مشتغل بما ينسيه نفسه ويخرجه عن حده ويلزم كل واحد من أهل هذا الموكب مكانه ويسير فيه بين أصحابه ، فان كانت الريح من ورائهم تثير عجاج سنابك خيلهم الى نحو الامام ، عدلوا عنه أو تباعدوا منه الى حيث لا يناله ذلك منهم ويلزموا السكينة وما فيه من توقير الامام ، وليحذروا اللجب والخصوم ورفع الأصوات ويفعل كذلك كل من ساير الامام ممن معه وممن بين يديه وممن خلفه .

وأفضل ذلك أن يكون معهم السلاح والعـدة ، ويجعلوا سيرهم مع امامهم رباطا عليه وحرسا (١) له ومحافظة عليه،ويعتقدوا ذلك ويضمروه وينووه ليؤجروا فيه • وكذلك ينوون ويعتقدون نظرهم اليه عبادة لله الذي جعل ذلك لمن نواه وأضمره كذلك • وان مشى الامام فينبغي لكل من سايره أن يمشي خلفه ، وان دعاه الأمر دنا منه دنوا يسيرا غير ملاصق له ، وأقبل عليه بوجهه وشقه ومشى على جانب معه الى أن يقضي الامام ما أراده ، ثم ينصرف من دعاه فيمشي خلفه واذا نزل الامام عن دابته لحاجة ، فينبغي لمن كان معه أن ينزلوا عن دوابهم ، ولا يقيموا ركبانا وهو قائم على الارض، فاذا ركب ركبوا ، وان نزل فصلى فصلوا بصلاته ان أمهم ، وان أمر أن يصلي بهم أحدهم صلى بهم او وحدانا صلوا كذلك بحسب ما يأمرهم ، فان نزل لحاجة تنحوا عنه حتى يقضي حاجته ، فـان تناول ماء يشربه أو شيئا ما كان مما تناوله مالوا عنه وصرفوا أبصارهم حتى ينتهي الى مراده من ذلك وحاجته وما قد صاحبه وراكبـه وسايره في

---

(١) بنسخة (م) وحارسا •

مركبه على أن لا يفعل ذلك فليصبر عنه ، فان لم يكن له من ذلك بد فعل ما لا بد له منه في خفية من الامام ولا يفعلونه معا ، ولكن واحد بعد واحد ، فاذا انصرفوا ودنا من قصره أو سرادقه ان كـان سلموا عليه ، ووقفوا حتى يدخل ثم انصرف كل واحد منهم الى موضعه .

(١٣)

ذكر حضور طعام الأئمة صلوات الله عليهم

قال الله جل ذكره « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق (١) » فهذا ما فرض الله على المؤمنين لنبيهم صلى الله عليه الذي قرن طاعة الأئمة بطاعته وكذلك ينبغي لهم لزوم هذا الادب الصالح لأئمتهم فلا يأتي طعامهم ويدخل اليهم في بيوتهم الا من دعي الى أكله الا أن يكون ذلك من الطعام الذي أباحوه لساير الناس أو لمثل من يريد أكله ، فاذا كان ذلك فله أكله بالاباحة ، وان لم يدع باسمه

---

(١) سورة الاحزاب ٤٣/٥٣ .

اليه ويباح له بعينه ٠

وينبغي لكل من أكل طعام الأئمة أن يعلم قدره ويعظمه حق تعظيمه ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : اذا وضعت موائد آل محمد حفت بها الملائكة يستغفرون الله لهم ولمن أكل من طعامهم ٠ وكان بعض الأئمة صلوات الله عليهم اذا قرب طعامه الى من يحضره اليه يقول لهم : كلوا وتبركوا به ٠ وينبغي لمن أراد حضور طعامهم أن ينظف أطرافه وشعره وبشره وثيابه وجوارحه وأظفاره ، ولا يرى عليه ما يقذر من أجله ، ثم اذا جلس الى الطعام ينتظره فليجلس بسكينة ووقار، فاذا أتى بالغسل غسل يده غسلا نظيفا موجزا وينشفها بالمنديل ، فاذا قرب الطعام جلس له مستوفزا غير متربع ولا متكيء ، ولكن يقيم رجله اليمنى ويثني الأخرى تحته ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه أنه كان كذلك يأكل ويقول : آكل كما يأكل العبد ، ونهى أن يأكل أحد متكيا ، وخالفته بنو أمية فهم الى اليوم وأتباعهم متكئون اذا أكلوا ٠ فاذا مد يده الى الطعام سمى الله تعالى، واذا فرغ من لون حمد الله تعالى ، واذا تناول

لونا آخر سمى الله تعالى عندما يبتدىء ، فقد اوي عن علي سلام الله عليه أنه قال : من سمى الله تعالى على طعامه لم يضره • فقال له ابن الكوافاني: أكلت البارحة طعاما سميت عليه وقد ضرني قال : نعلك يا لكع أكلت ألوانا سميت على بعضها دون البعض • فقال : أما ذلك فقد كان • فقال : من ها هنا أوتيت •

واذا تناول الطعام فليتناوله بالخمس الاصابع فانها سنة رسول الله (صلع) وسنة الأئمة صلوات الله عليهم خلاف سنة الجبارين الذين يتناولون بثلاث أصابع وبالسكاكين وكلاليب وتلقمه الجبارون (١) أنفة منهم عن تناوله بأيديهم ، والطعام رزق الله تعالى وتعظيمه من تعظيم الله تعالى ، فينبغي أن لا يأنف الآكل عنه ولا يرفع نفسه فيه ، ويستعمل من ذلك سنة نبيه (صلع) وسنة الأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتناول الاكل مما يليه من الطعام ، ولا يجيل يده الى كل ناحية في المائدة ولا في الصحفة ، وكان كذلك رسول الله (صلع) لا يفعل الا في

---

(١) بنسخة (هـ) الجبابرة •

التمر ، فانه كان يجيل يده في الطبق ويختار ما يتناول منه ، فيجب اتباع سنته ، ولا يتناول الاكل من ذروة الثريد ، ولا من وسط الصحفة ، فقد نهى عن ذلك ، ولكن يتناول مما بين يديه منها ، ولا يتجاوز في الاكل كما يتجاوز أهل النهمة ، ولا يقصر فيه تقصير أهل الأنفة والبذخ ، ولكن يأكل أكل الحاجة الى الطعام ، ويجيد أكله • ولا يقصر فيه ، فقد رأى بعض الأئمة (صلع) رجلا يأكل من طعامه أكل تقصير فقال : من مودة الرجل لأخيه جودة أكله لطعامه •

وانما نهينا عن الاسراف في الأكل للشره والرغبة كأكل المنهومين المستأكلين ، فأما من أكل كعادته ومنتهى حاجته فذلك حسن جميل ، فأما الأخذ من الطعام وحمله فذلك ما لا أحسب أن أحدا يجهل عاره واثمه • فينبغي لمن أكل من طعام أولياء الله أن لا يفعله أكان مباحا أو مدعوا اليه ، وينبغي لزوم الصمت عند الطعام (١) وترك الكلام الا فيما لا بد منه ، وأن يحذر الاكل ويتقي سيلان أنفه ودموعه وريقه ، فان غلب شيء من ذلك عليه أو

---

(١) بنسخة (هـ) الاكل •

بدر منه تناوله تناولا خفيفا بالمنديل دون يده ، ويستر ذلك ما قدر عليه ، وان اعترضته سعالة أمسكها ما استطاع فان لم يقدر على حبسها مال بوجهه عن المائدة ، وصوب رأسه وستر فاه بالمنديل حتى يقضي سعاله ، وكذلك يفعل في العطاس وما اعتراه من أثر وهو يأكل ، ولا ينظر في وجوه الآكلين ولا الى ما يتناولون ، ولا ينبغي أن يناول بعضهم بعضا من الطعام ، ولا أن يحث بعضهم بعضا على الاكل ، فان ذلك من فعل بعض العوام ، ويتقي تلطيخ يديه بالطعام ، ولا بأس أن يلعق أصابعه عند فراغه من الطعام ، فقد كان رسول الله (صلع) يفعل ذلك تعظيما للطعام عن مسحه في المنديل واذا رأى أنه انتهى الى حاجته من الطعام ومن معه يأكلون فلا يرفع يده دونهم ، ويتناول الشيء بعد الشيء حتى يرفعوا أيديهم أو أكثرهم فحينئذ يرفع يده ، وينبغي أن لا يشرب الماء قبل كفايته من الطعام ثم يعود اليه ، ولكن اذا رفع رأسه ولعق يده فليشرب ، فان اضطر الى ذلك قبل فراغه فليمسح يده ثم ليشرب ان شاء ويعود الى الطعام ان لم يكن قد اكتفى منه وكان أصحابه يأكلون ، واذا شرب فليسم الله حين يبدأ ويحمده

بيده من الطعام ثم مسحها بالمنديل وغسل يده ان أتى بالغسل فان كان أكله بحضرة الامام لم يغسل يده بحيث يراه ، ويتنحى ناحية فيغسلها ، لأن ذلك من التعظيم له الا أن يأمره بذلك فليمتثل أمره ، فان بقي في فيه طعام فلا يلفظه وليبتلع منه ما كان فيه ، وما أدار لسانه عليه ، وما أكرهه بالخلال لفظه ولم يبتلعه ، فاذا قضى ذلك قام كما أمر الله من أكل طعام نبيه الا أن يكون للامام أمر في الجلوس فليمتثل أمره صلوات الله عليه •

(١٤)

ذكر اداب أهل بيوتات الأئمة وما ينبغي أن ياخذوا به أنفسهم لهم

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه (صلع) « وأنذر عشيرتك الاقربين » كما قال الله تعالى « وأنـذر الناس يوم يأتيهم العذاب » فالأقارب والأباعد من الأئمـة ص٠ع٠ بوعـد الله عز وجل منذرون ، حين يفرغ ، وكذلك يفعل كلما تنفس في الشرب ، واذا عاد الى الاكل سمى الله ، واذا فرغ من الاكل حمد الله ودعا للامام بخير ، وتناول بقية ما لصق وبفرائضه يتعبدون ، وبالطاعة لأوليائه مأمورون، وفي جملة من أمرهم الله بطاعته وطاعة رسولـه وطاعة أولي الأمر داخلون ، ولذلك قال رسول الله (صلع) لبني عبد المطلب « يا بني عبد المطلـب لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم ، فاني لا أغني عنكم من الله شيئا الا بعمل صالح تعملونه

وانما يقربكم من الله أعمالكم ويبعدكم عنه ما اقترفتم » ·

وسأل رجل جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن قول رسول الله (صلع) : « من مات لا يعرف امام دهره مات ميتة جاهلية » فقال عليه السلام قد قال ذلك رسول الله (صلع) · قال السائل : فكذلك من مات منكم أهل البيت لا يعرف امام دهره ؟ قال : نعم ، من مات منا أهل البيت لا يعرف أمام دهره مات ميتة (١) جاهلية ، هم والله والناس في هذا بمنزلة واحدة · وأهل بيوتات الأئمة أحق الناس وأولاهم بمعرفتهم والتسليم لهم وامتثال أمر الله فيهم ، والحجة عليهم في انكارهم آكد منها على غيرهم ، وان كانت الحجة في ذلك لازمة للقريب والبعيد ، فان من قرب من الحق كان الحق ألزم له فينبغي لأهل بيوتات الأئمة ، ومن قرب منهم أن يكونوا أعلم الناس بواجبهم ، وأقومهم بحقهم وأطوعهم لهم ، ولا تذهب بهم الأنفة عنهم والحسد لهم والكبر عن التذلل اليهم والوقوع دونهم الى الكفر بالله ربهم والانسلاخ والخروج من دينهم ،

---

(١) بنسخة (هـ) موتة ·

فان الله هو اختارهم منهم واصطفاهم عليهم وأمرهم
كما أمر جميع العباد بطاعتهم ، فاياه يشاقــون
بمشاقتهم ، وعليه يتكبرون ان تكبروا عليهـم ،
وعنه يعدلون ان عدلوا عنهم ، وهو عز وجل مذل
من شاقه ومهين من تكبر عليه ، ومهلك من عدل
عنه ، ولم يهلك من أهل بيوتات الأئمة الا بظنهم
أن لهم فضلا فيما افترض الله على العباد دونهم ،
كما قال طلحة والزبير لعلي صلوات الله عليه لما
اعطيا مثل ما أعطى الناس : فأين قرابتنا وسابقتنا
يا أمير المؤمنين •• قال : قرابتكما وسابقتكمـا
أسبق وأقرب أم قرابتي وسابقتي ! قالا : بـل
قرابتك وسابقتك • قال : أفكان رسول الله (صلع)
يقسم بالسوية أو يفضل أحدا على أحد ! قالا :
بل كان يقسم بالسوية ولكن الذين بعده فضلونا •
قال : أفهم أعلم أم رسول الله ؟ قالا : بل رسول
الله (صلع) ••• في كلام طويل احتج فيه عليهما
فاتفقا بذلك وما كان هلاكهما الا بسبب ما ظناه من
أن لهما فضلا على غيرهما ، فنكثا بيعته وخرجا
عليه فكان من أمرهما ما يطول •

وسأل رجل من ولد الحسن بعض أولياء الأئمة ودعاتهم ممن كان قد استحكم أمره وظهر سلطان أولياء الله على يديه أن يعطيه مما أفاء الله عليه، فلم يفعل، فقال له: تمنعني على قرابتي ممن تدعو اليه وتعطي هؤلاء. فقال له: أخبرني من كان أولى بالناس بعد رسول الله (صلع)! قال: علي بن أبي طالب. قال: ثم من كان أحق الناس بعد علي؟ قال: الحسن. وعدد كذلك جماعة من الأئمة عليهم السلام. ثم قال له: فهل كان أحد من هؤلاء الذين كانت لهم الامامة في حياة من قبله قد سقط عنه بذلك فرض الامام الذي كان قبله ووجب على غيره، أو كان له حق عليه ليس هو لمن سواه في مال الله في يديه قال: لا. قال: فاذا كان هذا لا يكون للأئمة في ذات أنفسهم، فكيف يكون لمن يتوسل وتقرب بقرابتهم، فان كانت يدك مع أيدي هؤلاء الذين أعطيتهم أعطيتك بواجب ذلك، والا فأنت وهم وسائر الناس بمنزلة واحدة في ذلك. ولو كانت القرابة توجب حقا في ذلك لأوجبته لأبناء الانبياء وأبنائهم ونسائهم، فقد قال الله عز وجل «وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ

منه » . وقال لنوح في ابنه : « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » قال « وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين » وقال :

يا نساء النبي من يأتي منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » . وانما تنفع القرابة مع الاعمال الصالحة كما قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم » . وقال تعالى لنساء النبي « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ،واعتدنا لها رزقا كريما » فينبغي لأهل بيوتات (١) الأئمة أن يعرفوا هذا ويتدبروه من كتاب الله وقول رسوله وسنة الله في الذين خلوا من قبلهم ، فان ابن آدم انما أهلكه حسده لأخيه ، اذ قبل الله قربانه دونه وقدمه عليه ، وقد ذكرنا الحسد وما يدعو اليه والنهي عنه وما جاء فيه فلحذروه على أنفسهم ، ويقدمول من قدمه الله منهم واصطفاه عليهم من أئمتهم ، ويقوموا بشرائطهم وما أوجب

---

(١) بنسخة (م) بيوت .

الله عليهم لهم ، ويطيعوهم كما أمر الله حق طاعتهم ، ولا يروا أن لهم في ذلك فضلا على أحد من الناس غيرهم ، ولا واجبا يسقط عنهم دونهم ، بل الحق في ذلك عليهم آكد ، والفرض أوجب •

كما أن فضل العالم على الناس واجب من وجه علمه وفضله وواجبه على أهله وولده من وجهين ، من وجه علمه ووجه أبوته وقرابته ، وكذلك فضل الامام وحقه على أهل بيته يجب لامامته ويجب لرحمه وقرابته ، وتصل قرابتهم به طاعتهم اياه ، وتقطعها معصيتهم له ، كما برأ الله ابراهيم من أبيه ، ونفى ابن نوح لمعصية منه ، فمن لم يعرف الامام من أهل بيته ، ويقر بامامته ، فهو جاهل كما قال رسول الله (صلع) ، ومقطوع النسب كما قطع الله نسب ابن نوح منه ، وقد زال فضل القرابة عنه ولحق اسم الجاهلية به ، ووجب أن يكون من أخس خلق الله عند من يعرفه وأهونهم عليه وأقلهم قدرا عنده •

(١٥)

ذكر الآداب في طلب الحوائج من الأئمة

قد جعل الله عز وجل عند أوليائه لمن عرفهم وسلم لأمرهم ودان بطاعتهم وامامتهم خير الدنيا والآخرة ، فمن أراد الآخرة محضا عندهم وجدها ، ومن أحب الدنيا لديهم أصابها ، ومن طلبهما معا وجدهما • فينبغي لمن أراد سؤالهم لنفسه أو لغيره أمرا من أمور دنياه أو من أمور آخرته أن يتلطف في السؤال ، ويتحرى به مواطن الاقبال ، ويجعل لكل وجه من سؤاله حدا فيقدم فيه لنفسه روية وأدبا فان سأل أمر الدين ألحف واجتهد ، وان سأل في أمر الدنيا خفف واقتصد ، ولا يتعدى في كلا الأمرين وحده ولا يتجاوز قدره ، فان سأل من أمر الدين لم يسأل ما لا ينبغي له ، وان سأل من أمر الدنيا لم يسأل ما جاوز حده فقد جاء عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه انه سمع رجلا يقول : اللهم اجعلني من الذين يقولون ربنا هب لنا من

أزواجنا وذرياتنا (١) قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما فقال : لقد سألت ربك شططا ، سألتـه أن يجعلك اماما مفترض الطاعة وهذا ما لا يكون لك ٠

وجاء عن علي صلى الله عليه أن عقيلا أخاه سأله أن يعطيه مالا لا يستطيعه ولا يمكنه فقال له : يا عقيل اذا كان من الليل فأتني لنخرج فننزل على فلان اليهود وكان ذا مال فنقتله ونأخذ ماله فنعطيكه ففيه فوق ما سألت ٠ فقال سبحان الله تعالى يـا أمير المؤمنين وتفعل هذا ؟ فقال : لا والله ما كنت بالذي أفعله وان الذي لله من ماله في يدي لأعظم حرمة منه ولكن ان صبرت حتى يخرج عطائـي قاسمتك اياه فتركه ولحق معاوية ، فكانت له مع معاوية أخبار يطول ذكرها ، بكت فيها معاويـة وأخزاه وفضحه ، وذلك أنه رام منه نقص علي (ص) فلم يعطه الدنية من نفسه في ذلك فكان منه اليه ما خلد ذكره عنه من القول فيه ٠ وكذلك ينبغي لمن سأل أولياء الله أمرا من أمور الدنيا أو الدين أن لا يسألهم من ذلك شططا وان سأل أمرا من أمور الدين لم يسأل لطلب رياسة ولا لرياء ولا لينال به أمرا من أمور الدنيا فقد جاء عن رسول الله (صلع)

---

(١) بنسخة (م) وذراريتنا ٠

أنه قال : من طلب أمرا من أمور الآخرة ليبتغي به أمرا من أمور الدنيا يجد ريح الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة مائة خريف • وأن طلب أمرا من أمور الدنيا لم يطلبه شرها ولا الحافا ولا على ظهر غنى الأئمة ، فقد بلغني عن بعض أولياء الله ممن مكن له وظهر سلطان أولياء الله على يديه انه قال لقوم من المؤمنين وقد ذكروا السؤال فقال : حرام على من سألني منكم دينارا وعنده دينار ، أو دابة وعنده دابة ، أو شيئا ما كان وعنده مثله ، فيكون قد سأل ما عنده العوض منه ، وسأل عن ظهر غني ، وقد جاء عن رسول الله (صلعم) وعلى آله أنه قال : لا تحل المسألة عن ظهر غني ، ومن سأل وعنده ما يغنيه جاء ذلك خدوشا (١) وكدوحا في وجهه

ومما ينبغي لمن سأل الأئمة أن يجعل سؤاله تعريضا ولا يجعله الحافا وتصريحا ، فان حسن سؤاله عندهم منحوه ما سأله متطولين ، وان لم يحسن لديهم أمسكوا عنه غير متكلفين لأنه [قد لعل] السائل يسأل ما يجهلة ويعظم الرد على أولياء الله لما جبلهم الله عليه من الكرم فان أعطوه ذلك أعطوه عن استكراه وان منعوه منعوه كذلك • واذا كان

---

(١) بنسخة (هـ) جروحا •

السؤال تعريضا ، ولم يكن تصريحا كانوا مخيرين في الاعطاء وفي مندوحة من الفضل ، فان أعطي الطالب أعطي من غير استثقال ، وان أمسك عنه عوفي عن نقص الرد بعد السؤال • ففي ذلك توقير جاهه والتخفيف عن أئمته • وينبغي للمؤمن اذا احتاج أن لا يبذل ماء وجهه الا لامامه فان لم يمكنه ذلك فلا يمكنه الا لأوثق من يراه من المؤمنين اخوانه ولا يتعرض المسألة لأعدائه ، ولا يقبل منهم وان جادوا عليه وابتدأوه فان ذلك عز الايمان والمؤمنين •

وقد قال الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه ووصف شيعته فقال : شيعتنا من لا [يتوالى عنا عدوا] ولا يسأله ولا يقبل منه وان هلك ضياعا •

ونهى صلى الله عليه وسلم عن قبول هدايا المشركين والمخالفين وتحفهم وصلاتهم لئلا يستميل ذلك القلوب ، وقال بعض أولياء الأئمة لأصحابه : حرام على من احتاج فسأل غيري أو الثقة من اخوانه •

وقد قيل اعط من شئت فأنت أميره وخذ ممن شئت فأنت أسيره • ولا ينبغي للمؤمن أن يأسر نفسه لعدوه ، ولكن ان وجد شيئا من وجهه والا فليصبر حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا من أموره ويرزقه من حيث لا يحتسب كما وعد من ارتضاه من أهل دينه •

(١٦)

ذكر النهي عن انكار أفعال الأئمة والأمر بتأتيها عنهم بالقبول

قال الله عز وجل : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم • فطاعة رسول الله (صلع) فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وترك الخلاف عليه فرض من الله تعالى على عباده وذلك من وجوه الطاعات له ، وقد قرن الله تعالى طاعة الأئمة بطاعته والطاعة لا تكون باللسان حتى تصحبها النية والاعتقاد ، ولم يجعل الله لأحد من عباده أن ينتقد على رسول الله (صلع) ولا أن يتعقب شيئا من فعله ولا أن ينكره بلسانه ولا بقلبه بل أوجب عز وجل التسليم له في كتابه

ولم يوجب الايمان الا به · وكذلك يجب ذلك لمن وصل الله طاعته بطاعته وجعله للأمة خلفا منه وهم الأئمة من أهل بيته (صلع) ، فالواجب لكل امام على أهل زمانه طاعتهم له وتسليمهم لأمره وتركهم الاعتراض عليه ومخالفة أمره والانتقاد عليه والتعقب لأفعاله لأن الله عز وجل قد قلد الامام أمور عباده وتكفل بتوفيقه وتسديده ، وأورثه عمن تقدم من آبائه ، وزاده من فضله ومده بمعونته ، والامام ينظر بنور ربه ويعمل بتأييده اياه وعونه له ، وارشاده لما يحسن به العواقب ويصلح العمل به في كل عصر وزمان ومع كل قرن وفي كل وقت وأوان · ويجري في كل يوم تدبيره ويستعمل لكل زمان ما يصلحه ، ويحدث في كل عصر ما يشبهه ويقابل كل قوم بما ينبغي أن يقابلهم به ويظهر في كل حين ما يصلح اظهاره فيه من أمر يأمر به ونهي ينهى عنه وحادث يحدثه وأمر يظهره وحالة يستعملها ، وسيرة يجريها والناس عن تدبيره ذلك كله بمعزل وعن علم الصلاح فيه بجانب غير أنهم قد أغروا بالانكار على الأئمة وتكلفوا ما قد حمل من فعلهم وما لم يجعل الله تعقبه وانكاره اليهم ، بل قد أوجب الاذعان

والتسليم فيه عليهم فان نظروا الى زي الأئمة (صلع) ولباسهم وما يظهرونه من الاعداد والقوة لمباهات أعدائهم ويصنعونه ويقيمونه لردعهم (١) وارهابهم أوهموا لمن وهم بذلك وطمنوا فيه عليهم وتكلموا فيه وأنكروه من فعلهم ، وقالوا لم يكن رسول الله والخلفاء من بعده يتبعون مثل هذا كأنهم لم يسمعوا ما ذكره الله عز وجل في القرآن بما وهب من الملك ليوسف وداود وسليمان وما جاء عنهم في الاخبار مما كان لهم من النعم في الدنيا والآثار ولغيرهم من النبيين والصديقين والصالحين وما جاء في ذلك من الأئمة الراشدين •

فقد روي عن جعفر بن محمد أنه قال : كان نبي بن نبي بن نبي بن نبي يجلس مجلس آل فرعون في أقبية الديباج مزررة بأزرة الذهب على الأسرة المرصعة بالجوهر يقضي بين الناس بحكم الله تعالى وبكتابه ، وجاء عنه عليه السلام أنه قال كان لسليمان بن داود قصر فيه ألف حجرة في كل حجرة منها امرأة كانت له ألف طروقة منهن ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية • وحج صلوات الله عليه في ثوبين [قوهيين] فبينما هو في الطواف اذ

---

(١) بنسخة (م) لمنعهم •

آخذ طرف ثوبه عباد البصري فقال : يا أبا عبد الله تلبس مثل هذا وقد علمت كيف كان لباس جدك علي بن أبي طالب (صلع) ...

ذلك اللباس ولو لبست أنا اليوم مثله لقال الناس ان جعفر بن محمد لمراء كعباد البصري ، فأسكت عباد ، ولم يحر جوابا ، وتغامز الناس به ولقد كان يوصف بالرياء ، والاخبار في مثل هذا تخرج عن حد هذا الكتاب ، وقد قال الله تعالى « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (١) والدنيا عند أولياء الله أهون من الذر ومقداره ، ومن الهباء المنبث وغباره، ولهم فيها نظر وتدبير فيما يأتونه ويدبرونه في كل دهر وزمان بما يرون بأنهم يصلحون ، فالحذر عباد الله الحذر من انكار ما ترونه وتشاهدونه من أمرهم وفعلهم ، واغضائهم وانكارهم وتصرف الاحوال بهم وعن أمرهم بألسنتكم أو بقلوبكم أو بخواطر أنفسكم ، وعليكم ما حملتم ، وسلموا لهم ما حملوا تغبطوا وتسعدوا وتسلموا فكفى بالمرء جهلا أن

---

(١) سورة الاعراف ٣٢/٧ .

يتكلف أمرا لم يكلفه ، واعلموا أن سعي الأئمة (صلع) وما يفعلونه واظهارهم ما يظهرونه جهادا لأعداء الله ، واستعدادا في سبيل الله فان ظفرتم أنتم من حلال الدنيا دون حرامها ، وطيب كسبها دون خبيث حطامها ، فقصدتم به ذلك فيها وأخرجتم من واجب الله اليهم فيها ، فأنتم السعداء بما اكتسبتم ، والفائزون بما علمتم ، وان تريدوا بذلك فخرها ومضاهاة أولياء الله بما يظهرون منها فأنتم الخاسرون والمعتدون من فعل ذلك فيها أعاذكم الله من الخسران والزيغ ٠

فقد جاء : أن من تزيى بزي الامام فقد كفر ٠ وقال جعفر بن محمد (صلع) : أشرك من تراس علينا ان الرياسة لا تكون الا لنا ٠ ورأى بعض الأئمة (صلع) بعض رجاله وقد تزيى بمثل زيه ، فأمر به فأدب أدبا نكل فيه ، اذ علم صلوات الله عليهم منه أنه أراد بذلك أن يضاهيه ٠ وكذلك ينكر الجهال على الأئمة صلوات الله عليه ما فعله الناس في أزمانهم ، ويأتيه من خالف أمرهم من عمالهم والمتسببين بأسبابهم ، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى في كتابه ، وذمه من اتبع من اتبعوه من عباده على أنبيائه وأصفيائه اذ يقول جل ثناؤه

كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا (١) » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خالد بن الوليد لما خالف أمره وفعل ما لا يجب فعله فيما وجهه له واستعمله عليه : « اللهم اني أبرأ اليك مما فعل خالد » فليس من خالف الله ورسوله وأولياءه فيما أمروا به حجة عليهم ، وانما الحجة في ذلك على من خالف الحق فيه ، وليس على أنبيائه وخلفائه في أرضه حجة فيما خالفهم فيه من تعدى فظلم نفسه بمخالفتهم ، فمن أنكر هذا على أولياء الله فانما أنكره على الله تعالى لأن أمر الله تعالى في ذلك قد خولف ، كما خولف أمر أولياء الله الذين أمرهم من أمرهم ونهيهم من نهيه . ومما ينكره من أمور الأئمة من لا دين له يرجع اليه ، ولا تمييز له يقتصر عليه ، ولا عقل له من ذلك يردعه لو ذكرناه لطال به الشرح ، وخرج عن مقدار هذا الكتاب حده والوصايا فيه والتحذير منه ، وقد جاء عن بعض الدعاة الى الأئمة صلوات الله عليهم قول يعبر عن جميع ذلك ويأتي على جملته ، وذلك أن بعض

---

(١) سورة البقرة ٢/١٠٢ .

الأولياء من خراسان سأل داعيه الاذن له في المصير الى بعض الأئمة (صلع) فلم يأذن له في ذلك فألح عليه فقال له : ويحك مقامك ها هنا أسلم لك وأعفى • قال وكيف ذلك قال : أنت ها هنا على يقين ومعرفة بامامك والأئمة (صلع) لما ظهروا لظهور أمر الله لم تقم أمورهم الا بمعاملة أهل الدنيا بالدنيا وأخشى عليك ان أنت صرت الى دار الامام أن ترى بعض ذلك فتنكره بلسانك أو بقلبك فتهلك ويحبط عملك ، قال : ما كنت بالذي أنكر شيئا من ذلك ما كان • فألح عليه ج الاذن فقال : ان لم يكن في ذلك بد فآخذ عليك العهد كما أخذته أولا انك ان رأيت الامام بعينيك يزني ويشرب الخمر ويأتي الفواحش (١) ـ وقد أعاذ الله الأئمة من ذلك ـ انك لا تنكر ذلك بقلبك ولا بلسانك ولا يخالجك الشك فيه أنه صواب وحق قال : نعم فخذ علي ، فأخذ في ذلك عليه • قال الرجل : فوالله لولا ما كان منه الي في ذلك لهلكت كما قال ، ولكن اذا رأيت أمرا أنكره ذكرت ما كان منه • وهذا وما يدخل في معناه ، أشبه شيء بما قدمنا ذكره من قصة موسى ع•م والعالم فيما أنكره موسى وهو

---

(١) بنسخة (هـ) الفاحشة •

صواب وحق من فعل العالم في السفينة والغلام والجدار ، على ما ذكره الله عز وجل في كتابه • أدبوا أنفسكم أيها المؤمنون وانهوها عما تنكره من أفعال الأئمة ، واغضائها عما تنكره من أفعال أهل رمانها ، وسلموا كما أمركم الله تعالى بالتسليم لهم وأطيعوهم كما افترض الله عليكم طاعتهم واحذروا خلافهم والاعتراض عليهم والله ولي التوفيق •

(١٧)

ذكر ما ينبغي لمن استرعى أمر رعايا الأئمة من السيرة بالعدل فيمن ولوا أمره من الأمة

هذا باب يدخل في جملته كل عامل للأئمة صلع على ما استعملوه عليه من رعية أو مال أو أمانة أو عمل ما كان ذلك العمل ، ويجب على جميعهم ما يجري ذكره فيه وما يجري في هذا الكتاب مما جرى مجرى العموم ويدخل في هذا الباب جميع العباد على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : كلكم أمير وكل مسئول عن رعيته فالأمير مسئول عمن أمر عليه ، والرجل أمير على عياله ومسئول عنهم ، والمرأة أميرة على بيت زوجها وعلى [ما استحفظه عليها فيها] وفي نفسها ومسئولة عن ذلك ، والعبد أمير على ما أقامه له مولاه من مال ومسئول عنه فليتق الله كل امرىء

منكم فيما أمر عليه وليعلم أنه مسئول عنه . وهذا قول جرى مجرى العموم عن رسول الله (صلع) فينبغي لمن دخل في جملة هذا القول أن يحافظ على ما استحفظه رسول الله صلى الله عليه اياه ويحاسب فيه نفسه ويعلم أنه كما أخبره نبيه مسئول عنه . وأول ما ينبغي لمن ولي شيئا من أمور الناس أو من أمور الأئمة (صلع) أن يبتديء بصلاح نفسه قبل صلاح ما استعمل لاصلاحه فانه من ضيع أمر نفسه كان لما سواه أضيع ، فكيف يأمر بالمعروف من لا يفعله ، أم كيف ينهى عن المنكر من يرتكبه ، قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (١) » .

وقال رسول الله (صلع) : « لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر الراكبين له » ، فكيف يرجو خيرا من بكته الله في كتابه ولعنه على لسان رسوله ، أم كيف يزكو عمله ، أو يصلح الله به أمرا من أمور عباده ، ولكن اذا بدأ هذا بنفسه فأصلحها وجب أن ينظر في صلاح غيره والا فكيف يرجو صلاح غيره وهو فاسد في ذات نفسه ،

---

(١) سورة البقرة ٤٤/٢ .

أو يتعقب الخيانة على غيره وهو خائن في ذاته والله يقول : « ان الله لا يهدي كيد الخائنين (١) » ولا يصلح عمل المفسدين • وجاء في الحديث : كيف ينظر أحدكم الى القذى في عين أخيه ويدع المجزع المعترض في عينيه • فمن أمر نفسه بالمعروف ونهاها عن المنكر وجب أن يأمر وينهي بذلك غيره إذا نصب له ، ويأخذ على يديه فيه والا فانه بمنزلة طبيب انتصب لعلاج الناس من داء هو ظاهر به فمن ذا تراه يثق بعلاجه أو يطيب نفسا به ويرجو البراءة على يديه ، وهو يرى أنه لم يبرىء نفسه التي هي أحب الانفس اليه وأعزها عليه ، وهو بها أعنى وعلى عافيتها وصحتها أحرص ، وأخلق بمثل هذا الطبيب (٢) أن يتحاشاه الناس فلا يأمنه أحد لعلاج • فان كان هذا يجري هذا المجرى في علاج هذه الابدان القليلة البقاء القريبة الفناء ، فكيف ينبغي أن يكون النظر للانفس التي يرجى لها الثواب الدائم ، ويخاف عليها العذاب اللازم ، فاذا أحكم الداعي هذا من نفسه فلينظر فيما استرعاه وليؤد الامانة لله ولأوليائه فيه فانه

---

(١) سورة يوسف ٥٢/١٢ •

(٢) بنسخة (هـ) الحكيم •

اذا أصلح أمر نفسه أصلح الله له كل أمر يريد صلاحه ٠

وقد جاء عن رسول الله (صلع) أنه قال : من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين عباده ٠ وفيما ذكرته من هذا بلاغ وكفاية عما سواه من الوصايا ، لأن صلاح الحالات يأتي على جميع الخيرات ، والصالح بالحقيقة لا يأتي سوءا ولا يرتكب خطيئة ، فاذا كان كذلك صلحت أعماله كلها ، ونجا من تبعتها واثمها ، ولكن في الزيادة في الشرح خير وتنبيه ، فيجب عليه بعد ذلك أن يقتدي، في كل ما يأتيه ويذره ويعطيه ويأخذه ، بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وقول مواليه الأئمة من أهل بيته ووصية امام عصره ومن أقامه لوصاياه ، في هذا أيضا جماع كل شيء ٠ وقال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ٠ وقال تعالى : « فيه تبيان كل شيء » ٠ وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ٠ وقال تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » ٠ ثم نزيد بالشرح والبيان ونقول انه يجب على المؤمن أن لا يعمل عملا يستحي من امامه فمن دونه أن يعمل ذلك بحضرته الا ما كان من الحلال الذي لا

شبهة فيه ، مثل اتيان أهله ومنزله ومطعمه ومشربه الذي لا شك فيه عنده أنه حل له ، ولكنه لا ينبغي له أن يجاهر بكثير منه ، فأما ما كان حراما لا شك فيه أو شبهة لا يقين معها ، فينبغي اجتنابه في السر والعلانية والمشهد والمغيب ، وقد تقدم مثل هذا في غير هذا الباب ، ويشعر مع ذلك نفسه ويجعل نصب عينه خوف العقوبة ورجاء المثوبة في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة فيما يعمله ويقوله وينويه ويسره ويجهره ، حتى كأن الجنة والنار وما يرجى ويخاف في الدنيا من ثوب أو عقاب بين يديه ونصب عينيه ، وأعماله قد دونت وأحصيت له وعليه ، وأنه قد أدنى من الحساب ، وجوزي باستحقاقه عليها من الثواب والعقاب ، ويتذكر ويتفكر ويتدبر وينظر ما بين خير قليل دائم له في دنياه موصول له بالنعيم الباقي في أخراه ، وبين لذة يستعجلها ، ونهمة يتقدمها ، ورغبة يصل اليها ، تعقبه انقطاع الخير العاجل له ، وتوجب العذاب الدائم فيه ، مع حسن الثناء في الدنيا على أهل الفضل والامانة وسوء القول في أهل الشر والخيانة ، مع أن ما تفيده الخيانة من حطام الدنيا كالسراب الزائل فيها ، والزبد الذاهب جفاء منها ، والبركة كل البركة في

الحلال ، وهذا معلوم موجود في أكثر هذه الاحوال، مع واجب امتثال أمر الله تعالى في ذلك اذ يقول في كتابه : « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر (١) » • وقوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (٢) » • وقوله : « اذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا (٣) » • وكثير من نظائر ذلك في كتاب الله جل ذكره وقول رسول الله صلى الله عليه • وما تدبر هذا وما قدمنا ذكره في هذا الباب عاقل الا تبين له وجه الصواب فيه ، وما يعمى عنه الا الرعاع ومن جهل حظه ، وكان بالبهائم أشبه منه حاسة ومعرفة من بني آدم ، فان قول أمثال من كانت هذه حاله في مثل هذا المعنى : أنفع الاشياء لك عاجل يومك •وكسرة مستعجلة خير من خبزه مؤجلة ، وانما هي أكلة وميتة • وانما لك بياض نهارك أو سواد ليلك • ومن يتكفل لعاقل بالحياة الى قابل • واذا نزل الغيث

---

(١) سورة الحج ٢٢/٤١ •

(٢) سورة النساء ٤/٥٨ •

(٣) سورة الانعام ٦/١٥٢ •

فاملأ جبك ، وموتك شبعانا خير من موتك جائعا ٠ فهل نفعت فلانا نصيحته وأغنته أمانته ، وقولهم للواعظ اذا وعظ : اذا دخلت أنت الجنة فاغلق الباب وراءك ، والق الناس على الصراط خير من أن تلقاهم بالسماط ٠ في كثير من مثل هذا الكلام من كلام السفلة والرعاع وأشباه الانعام ٠

وهذا باب لو تقصينا ما يدخله على الشرح والتمام لطال فيه القول واتسع له اللفظ والكلام ، ولكنا شرحناه بالمجمل من القول الذي يتفرع عند التحصيل وينتج الفوائد عند طلب التأويل ، فأما ما ذكرناه من قول رسول الله (صلع) من أن كل امرىء راع مسئول عن رعيته ، كالعامل في رعيته ، والرجل في أهله ، والمرأة في بيت زوجها ، والعبد في مال سيده ، فهو كما قال الرسول صلى الله عليه يجب على كل هؤلاء تأدية الامانة فيما ائتمن عليه ، وأن يبدأ في ذلك كما ذكرنا بنفسه ، فقد قال الله تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (١) » ، فلم يأمره عز وجل بأمر أهله بها الا مع أمره هو باقامتها ، وهذا مما ذكرناه من البدء

(١) سورة طه ١٣٢/٢٠ ٠

صلاح الانفس • وقال جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » فقيل يا رسول الله قد علمنا أننا نقي أنفسنا النار بأعمالنا الصالحات فكيف نقي منها أهالينا ؟ فقال : تعلمونهم أعمالكم الصالحة وتأخذونهم بها فتقوهم النار اذا عملوا بما أمركم بها •

وقال (صلع) : ان الرجل الصالح ليعلم به أهله الخير حتى يدخلهم الجنة فلا يفقد ممن كان في بيته في الدنيا معه الا هرة بيته • وقال : لا يزال الرجل الصالح يأخذ أهله وجيرته بالأدب الصالح ويعمل به حتى يدخلهم الجنة معه ، ولا يزال الرجل السوء يعمل السوء ويعلمه أهله وجيرته حتى يدخل النار ويدخلهم فيها معه •

ويروى عن بعض الصالحين أنه احتاج الى ثمن أمة سوداء كانت له باعها فاشتراها قوم ، وقد كان الذي باعها يقوم ويصلي من الليل ويقوم أهله فيصلون بصلاته حتى صار ذلك لهم طبعا وعادة ، فلما باتت الأمة عند مواليها الذين اشتروها قامت للعادة فصلت هديا من الليل ، فلم تر أحدا منهم قام ، فقرعت الباب عليهم ، فانتبهوا وقالوا : مالك؟

قالت : قوموا الى الصلاة ، فظن القوم أنهم أصبحوا فقاموا فرجعت هي الى الصلاة ، فرأوا الليل فعادوا فناموا ، فرجعت اليهم كذلك مرارا ، كل ذلك تقيمهم حتى صاحوا عليها وقالوا : انك مجنونة ما تعرفين الليل من النهار ، فلما أصبحت خرجت عنهم وأتت مولاها تبكي فقالت : يا مولاي بعتني من قوم لا يقومون الليل ، وهذا من سليم الأدب الصالح وتلقين الخير وتعليمه والعمل به ٠

